معجم الاستشهادات(*)

د.علـــي القاسمـــي

"لا تنظر إلى مَن قال وانظر ما قال"

علي بن أبي طـــــالب

نهاية إقدام العقول عقـــــال

وغاية سعي العالمين ضـــــلال

و لم نستفد من بحثنا طول عمرنـــا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقالـــوا

فخر الدين الـــرازي

100 – تمهيد

منذ أربع سنوات ونيف وأنا أطوف في حقـــول الفكر العربي، وأتجول في بساتين آدابـــه، وأتـــنزه في حدائق أشعاره، وأمعن النظر في منثور أزهـــاره، ثـــم أقطف أروعها منظرا وأزكاها أريجا، فأجمع الورود التي فاح عبيرها حتى تناقلته النسيمات العليلة إلى الوديـــان المجاورة والسهول المتاخمة، ليسرّ به الأصحاب ويرتاح له الخلان، وألتقط الزنابق النادرة الألوان، التي يبحـــث عنها أهل الفن السامي وذوو الذوق الرفيع، ويتبـــارى في مضاهاتها عباقرة المصورين ويتنـــافس في رسمهـــا جهابذة الرسامين.

منذ أربعة أعوام ونيف وأنا أغـــوص في بحـــار الأدب العربي، شعره ونثره: أجتبي اللآلـــئ الثمينـــة النادرة التي تتمناها أترف الحسناوات، وأنتقي الـــدرر الفريدة الفاخرة التي تشتهيها أغنى الجميلات، وأقتلـــع المرجان الباهر الذي ينشده أمهر الصيادين ويبحث عنه هواة الجواهر النادرة.

وبعد هذا وذلك أنظم تلك الأزاهير وأرتب تلك الجواهر في معجم فريد من نوعه، رائـــد في ميدانـــه، أطلق عليه اسم معجم الاستشهاد والتمثيل والاقتباس، لأضعه بكل عناية وأناة، وبكل فخر واعـــتزاز علـــى رفوف مكتبتنا العربية الزاهرة، هدية محبة ورمـــز ولاء للغتنا المجيدة.

200 – التمثيل والاقتباس والاستشهاد

وتؤلف مادة هذا المعجم الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والأمثال السائرة والأبيات الشعرية المشهورة والنصوص النثرية المأثورة التي قـــد يستعملها المتكلم في أحاديثه أو يضمنها الكـــاتب في كتاباته، ويضعها عادة بين أهلة التنصيص ("....") أو يقدم لها بأحد أفعال القول (مثل: كما قال الشاعر).

وعلى الرغم من أن كثيرا من الأدباء اليوم يطلق على هذا النـــوع مـــن الاســـتعمال اللغـــوي اســـم "الاستشهاد" أو يستخدم مصطلحات « التمثيـــل » و « الاستشهاد » و "الاقتباس" كأنها مترادفـــات ذات دلالة واحدة، فإن المتخصصين في تراث العرب الأدبي

---

* مقدمة لـ (معجم الاستشهادات) الذي أعدّه الدكتور علي القاسمي وتنشره العالمية (صخر) الكترونيا، ضمن برامجها اللغوية.

يفرقون بين هذه المصطلحات بدقة.

210 – التمثيل

"المِثْل" أو "المَثَل" في اللغة العربية كلمة تسوية، فيقال هذا مِثْلُهُ ومَثَلُهُ كما يقال شِبْهُهُ وشَبَهُهُ بمعنى واحد[1].

ولهذا فإن (التمثيل) لدى البلاغين هو ضرب من ضروب الاستعارة يقيم به القائل مماثلة بين شيئين أي يمثل شيئا بشيء كقول امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لِتَقْدَحي
بسهميك في أعشار قلب مقتّل
فمثل عينيها بسهمي الميسر[2].

ومن المنطلق نفسه، يستخدم المسرحيون والسينمائيون مصطلح (التمثيل) للتعبير عن القيام بأدوار وأحداث على المسرح أو في السينما مماثلة أو مشابهة لتلك الأدوار والأحداث التي جرت في الحياة الحقيقية.

والتمثيل لدى الأصوليين وعلماء الدلالة هو ضرب شبيه بالقياس، ويعرّفه السكاكي بأنه « تعدية الحكم عن جزئي إلى آخر، لمشابهة بينهما، وأنه أيضا مما لا يفيد اليقين إلا إذا عُلم بالقطع أن وجه الشبه هو علة الحكم"[3].

وجاء في لسان العرب: " تمثّل فلان: ضرب مثلا، وتمثّل بالشيء: ضربه مثلا". وهذا النص يشير إلى مدلولين آخرين من مدلولات مصطلح (التمثيل): أولهما، أن يأتي المتكلم أو الكاتب بمثل من الأمثال السائرة. وفي حالة المتكلم قد يأتي المثل شاهدا لما أدلى به المتكلم أولا، أو قد يكتفي المتكلم بضرب المثل جوابا أو تعليقا أو وصفا لحادث، أو تبيانا لأمر من الأمور. وثانيهما أن يأتي المتكلم بأي قول مأثور سواء أكان ذلك القول آية قرآنية كريمة أم حديثا نبويا شريفا، أم بيتا من الشعر، أم مثلا سائرا، دون إضافة أي شيء آخر لا قبله ولابعده. وقد ورد في القرآن الكريم (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون)[4]. ويقال إن علي بن أبي طالب رأى ذات مرة عبد الرحمن بن ملجم المرادي فتمثل بقول الشاعر:

أريد حياته ويريد قتلي
عذيرك من خليلك من مراد[5]

وقد روى الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) ما يلي:

"قال الأصبغ الحنظلي: لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي كرم الله وجهه، أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول:

اشدد حيازيمك للمو
ت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت
إذا حل بواديكا[6]

ففي الحالتين لم يكن علي بن أبي طالب يستشهد بالشعر على قول أبداه وإنما تمثل به لخاطرة مرت بباله أو فكرة راودت خياله.

ويقال إن حماد الراوية تحدث عن فضل النابغة الذبياني فقال: "إن النابغة إن تمثلت ببيت من شعره اكتفيت به، مثل قوله:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبـــــة

وليس وراء الله للمرء مذهـــب

بل لو تمثلت بنصف بيت من شعره اكتفيت به، وهو قوله (وليس وراء الله للمرء مذهب)، بل لوتمثلت بربع بيت من شعره اكتفيت به مثل قوله (أي الرجال المهذب؟)[7].

نخلص من ذلك كلـــه إلى القـــول إن التمثيـــل لايشترط فيه أن يكون القول المأثور المتمثل به شـــاهدا على كلام المتحدث، وإنما قد يؤتى به منفردا للشبه بينه وبين الأمر الذي يريد المتكلم التعبير عنه. وهكذا يمكن تعريف (التمثيل) بأنه الإتيان أو الاستشهاد بقول سائر من مثل أو شعر أو نثر على كلام المتكلم أو خـــاطرة خطرت بذهنه.

220 – الاقتباس

(القَبَس) لغة هو النار أو الشـــعلة مـــن النـــار، ويقال: قبست منه نارا أقبس قبسا فأقبسني أي أعطاني منه نارا، واقتبست منه علما أيضا أي استفدته[8].

والاقتباس -لدى البلاغيين- هـــو أن يضمّـــن المتكلم منثوره أو منظومه شيئا من القرآن الكريـــم أو الحديث النبوي الشريف، على وجه لا يشـــعر بأنـــه منهما[9].

ومن أمثلة الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر قول لسان الدين بن الخطيب:

قال جوادي عندمـــــــا

همزت همـــزا أعجـــزه

إلى متـــــــى تَهْمِزُنـــي

(ويل لكل همـــــــزه)

ومن أمثلة الاقتباس من الحديث النبوي الشريف في الشعر قول الصاحب بن عباد:

قال لي: إن رقـــيـــــ

بي سيء الخلق فـــــــداره

قلت دعني، وجهك (الـــ

ـــــجنة حفت بالمكـــاره)

وينقسم الاقتباس إلى ضربين:

الأول، لايُنقل فيه اللفظ المقتبس عـــــن معنـــاه الأصلي إلى معنى آخر، كما هو الحـــال في الأمثلـــة المتقدمة.

والثاني، يُنقل فيه اللفظ المقتبـــس عـــن معنـــاه الأصلي إلى معنى آخر، كقول ابن الرومي:

لئن أخطأتُ في مدحيـــــ

ك ما أخطأتَ في منعـــــي

لقد أنزلتُ حاجاتـــــــي

(بواد غيـــــــر ذي زرع)

أو كقول ابن نباتة:

أناشده الرحمن في جمع شملنـــــا

فيقسم هذا لايكون إلى الحشر

إذا ماغدا مثل الحديد فـــــــؤاده

فـــ(والعصر)إن العاشقين(لفي خسر)

ويلاحظ أن (الاقتباس) لايقتصر على الاقتبـــاس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بـــــاللفظ فحسب بل ينصرف كذلك إلى اقتبـــاس المعنـــى دون اللفظ. وقد ألف أبو منصور الثعالبي (350–429هـــــ)

كتابا بعنوان الاقتباس من القرآن الكريم، يقول في مقدمته عنه: "... إذ هو مقتبس الألفاظ والمعاني من أحسن الكلام، وأقوم النظام، وأنور النور، وأشفاه لما في الصدور، ذلك كلام رب العزة..."[10].

ويفرق القلقشندي بين الاستشهاد بالقرآن والحديث والاقتباس منهما، فالاستشهاد بهما يشترط أن ينبه الكاتب عليه بـ « قال » ونحوه، أما الاقتباس فهو أن يُضمّن الكاتب شيئا منهما ولاينبه عليه[11].

ويستخدم الناطقون بالعربية اليوم لفظ (الاقتباس) للدلالة على الأخذ من كلام الآخرين شعرا أو نثرا بصورة عامة ودون الاقتصار على الأخذ من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف. ولهذا فإن معجما معاصرا كالمعجم العربي الأساسي يورد بين معاني (اقتبس) ما يلي

"3...- اقتبس من الشعر أو النثر: أخذ فكرة أو عبارة وصاغها صياغة أخرى (اقتبس مسرحية من تأليف شكسبير)

4 - اقتبس: ضمن كلامه آية قرآنية أو حديثا نبويا أو غيرهما..."[12].

230 - الاستشهاد

لكلمة الشاهد في اللغة العربية المعاصرة معنيان رئيسيان: الشاهد ويجمع على شواهد بمعنى الدليل، والشاهد ويجمع على شهود وأشهاد وشهداء بمعنى من يؤدي الشهادة أمام القاضي ونحوه. والاستشهاد في اللغة هو إتيان المتكلم أو الكاتب بشاهد (بالمعنى الأول) يعزز رأيه ويدعمه[13].

وقد يضمن المتكلم كلامه شواهد يستمدها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية والخطب والمقالات والأمثال والأقوال المأثورة وما إلى ذلك من شعر أو نثر. وهكذا فإن الاستشهاد كلمة ذات معنى أعم من معاني التمثيل والاقتباس. فالاستشهاد قد يأخذ شكل التمثيل أو الاقتباس في معنييهما المتخصصين اللذين أشرنا إليهما في الفقرتين السابقتين210 و220.

300 - أغراض الشواهد

و لم يقتصر استخدام الشواهد على الخطباء والكتاب، وإنما استخدمها كذلك المعجميون والنحويون والبلاغيون والأصوليون وغيرهم. وإذا كان استخدام الشواهد قد تم تحقيقا لأغراض مختلفة ووصولاً إلى غايات متباينة، فإن طريقة استخدام الشواهد كانت واحدة تقريبا. فالمتكلم أو الكاتب يدلي برأي أو يستنبط مبدأ أويقرر قاعدة ثم يأتي عليها بدليل (أي بشاهد) من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أوالشعر أو النثر العربي بصورة عامة. ويمكننا أن نحصر الأغراض الرئيسية التي استخدمت من أجلها الشواهد فيما يلي:

310 - الشواهد المعجمية

تعد صناعة المعجم العربي أقدم الصناعات المعجمية في العالم وأغناها وأرقاها. ونشأت المعجمات العربية في بادئ أمرها وسيلة لفهم مفردات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ثم تطورت لتغطي لسان العرب برمته. واتبع المعجميون العرب الخطوات العلمية في تصنيف معاجمهم، أي جمع المادة اللغوية أولا، ثم اختيار المداخل، وترتيبها وفق ترتيب محدد،

وإعطاء المعلومات الدلالية والنحوية والصرفية والصوتية والإملائية والأسلوبية عنها.

وبصورة عامة، يمكن القول إن المعجميين العرب استخدموا الشواهد لغرضين أساسيين:

أولا، لإعطاء الدليل أن اللفظ موضوع البحث مستعمل في لغة العرب أو في لهجة من لهجات القبائل العربية على الرغم مما يبدو من غرابته للقارئ، فهو ليس من أوهام المعجمي أو وضعه، وإنما هو من لغة العرب أنفسهم، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في معجم لسان العرب:

"شمهد: الشَّمْهَدُ من الكلام: الخفيف، وقيل: الحديد

قال الطرماح يصف الكلاب:

شَمْهَدُ أطراف أنيابها

كمناشيل طُهاةِ اللَّحام[14]

ثانيا، لإعطاء الدليل على معنى اللفظ موضوع البحث أو على أحد معانيه، لأن معنى اللفظ -كما هو معلوم- قد يتغير بحسب السياق الذي يرد فيه.

ومن الأمثلة على ذلك ماورد في معجم لسان العرب:

"والشاهد: اللسان من قولهم: لفلان شاهد حسن أي عبارة جميلة، والشاهد: المَلَك قال الأعشى:

فلا تحسبني كافرا لك نعمة

على شاهدي، يا شاهدَ الله فاشْهَدِ

وقال أبو بكر في قولهم: ما لفلان رواء "ولا شاهد" ، معناه ما له منظر ولا لسان... »[15].

وينبغي التنبيه هنا إلى أن الشواهد التي استخدمت في المعاجم العربية هي شواهد أصيلة حقيقية وليست موضوعة. وإذا كانت موضوعة من قبل المعجمي فإنه يطلق عليها في الصناعة المعجمية اسم (الأمثلة التوضيحية) وليست الشواهد. وقد يلجأ مُصنف المعجم إلى وضع الأمثلة التوضيحية في بعض مواد المعجم تحاشيا للصعوبات الدلالية أو البنيوية التي قد تشتمل عليها الشواهد الأصيلة خاصة إذا كان المعجم قد صنف من حيث الأساس لمتعلمي اللغة العربية أو لغير الناطقين بها.

320 – الشواهد النحوية

يمكننا أن نقول بكثير من الاطمئنان إن النحو العربي في نشأته وخلال عصره الذهبي كان نحوا وصفياً لامعياريا، سواء أكانت المدرسة التي ينتمي إليها النحاة هي مدرسة البصرة أم مدرسة الكوفة أم مدرسة بغداد. والمقصود بالنحو الوصفي هو النحو الذي يصف الاستعمال اللغوي ويقعده، أي أن القواعد فيه تصف اللغة المستعملة فعلا، بعكس النحو المعياري الذي يضع فيه النحوي القواعد أو المعايير ويطلب إلى المتعلمين تطبيقها في لغتهم المنطوقة أو المكتوبة[16].

فالنحاة العرب نظروا في كلام العرب واستخلصوا القواعد التي يسير عليها وأدرجوها في مصنفاتهم. ولهذا فإنهم أتْبعوا كل قاعدة بشاهد من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو من كلام العرب شعره ونثره. ومن الأمثلة على ذلك من كتاب **أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك.**

"نِعم وبئسَ، وهما فعلان عند البصريين والكسائي، بدليل (فبها ونِعْمَتِ)، واسمان عند باقي

الكوفيين، بدليل (ما هي بنعم الولدُ)، جامدان، رافعان لفاعلين معرفين بأل الجنسية نحو (نِعْمَ العبدُ)".

فالدليل الأول مقتبس من حديث شريف، وهو بتمامه "من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل". والدليل الثاني مأخوذ من كلمة لأعرابي وقد أخبر بأن امرأته ولدت له بنتا، والدليل الأخير مقتبس من الآية 30 من سورة ص[17].

330 – الشواهد البلاغية

واستخدم أصحاب البلاغة الشواهد لإعطاء الأمثلة على الموضوعات التي كانوا يجمعونها تحت البلاغة كالمعاني والبيان والبديع. ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن (الإدماج) وهو من المحسنات المعنوية في علم البديع:

"الإدماج: هو أن يضمّن كلام قد سيق لمعنى، معنى آخر، لم يصرَح به، كقول المتنبي:

أقلّب فيه أجفاني كأني
أعد بها على الدهر الذنوبا

ساق الشاعر هذا الكلام (أصالة) لبيان طول الليل، (وأدمج) الشكوى من الدهر، في وصف الليل بالطول"[18].

340 – الشواهد الفقهية

يعرف علم أصول الفقه بأنه "علم بالقواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها. فإذا قلنا إن الصلاة واجبة، فهذه قضية شرعية، موضوعها الصلاة، ومحمولها الوجوب، ودليلها الآية القرآنية (أقيموا الصلاة)"[19].

والأدلة الفقهية هي الشواهد المقتبسة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وقد يستخدم الأصوليون كثيرا من الشواهد المستمدة من شعر العرب ونثرهم للتدليل على معاني ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

350 – الشواهد المتعددة الأغراض

وقد يستخدم الشاهد الواحد لأغراض مختلفة، ومن الأمثلة على ذلك بيت الشعر التالي:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا
بنوهن أبناء الرجال الأباعد

إذ يستشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر، ويستشهد به البلاغيون في باب التشبيه، ويستشهد به الفقهاء في أمر الوصية، ويستشهد به الفرضيون من الفقهاء في توزيع الميراث على أبناء الأبناء. ومن الطريف أن هذا البيت لم ينبه أي من الذين يستشهدون به إلى قائله[20].

400 – الاستشهاد ومكانته في الأدب

410 – تاريخ الاستشهاد

لابد أن الاستشهاد بنصوص لغوية سابقة قديم قدم اللغة الإنسانية ذاتها، ولابد أن الاستشهاد بأبيات شعرية معينة لجمال لفظها أو طرافة معناها قديم قدم الشعر نفسه، فاستفادة المتكلم مما قيل من قبل، وتضمين الكاتب الأقوال المأثورة أو الأفكار النيرة في ما ينشئ ممارسة أساسية في جميع أنواع الكتابة سواء أكان ذلك التضمين خفيا مستورا أم واضحا موثقا. والاستفادة من النصوص اللغوية السابقة تساعد على تناقل الأفكار والمعاني وتداولها من جيل إلى جيل ومن مكان إلى آخر،وهذا ما يطلق عليه النقاد حاليا

مصطلح التناص intertextualité[21].

وقد أدى كلف العرب في العصر الجاهلي بالشعر وحبهم إياه إلى حفظ ما ينشد شعراؤهم وترديده وغنائه والتمثيل والاستشهاد به وروايته. يقول الشاعر الجاهلي حميد بن ثور:

لأعترضن بالسهل ثم لأحدون
قصائد فيها للمعاذير زاجر
قصائد تستحلي الرواة نشيدها
ويلهوبها من لاعب الحي زامرُ[22]

ويقول تميم بن مقبل:

إذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى
لها ثاليا بعدي أطب وأشعرا
وأكثر بيتا ماردا ضربت له
حزون جبال الشعر حتى تيسرا
أغر غريبا يمسح الناس وجهه
كما تمسح الأيدي الجواد المشهرا

ويقول شاعر آخر:

تغن بالشعر مهما كنت قائله
إن الغناء لهذا الشعر مضمار[23]

وقد بلغ من شغف العرب بالشعر وتفضيلها له أنها تخيرت سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب وعلقتها بين أستار الكعبة وأطلقت عليها اسم المعلقات أو المذهبات ثم عمدت إلى سبع قصائد أخرى من الطبقة الثانية وأطلقت عليها اسم المجمهرات[24].

وكان الشاعر إذا أنشد شعراً تلقفته الرواة وتناقلته الألسُن حتى لم يعد بإمكان الشاعر إيقاف انتشار شعره أو الحد من شيوعه حتى لو عدل عنه أو ندم عليه، وكأنه السهم إذا سدد لايستعاد أو الرصاصة إذا أطْلِقَتْ لاتسترجع أو البرقية إذا أبرقت لاتسترد.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر كعب بن جعيل:

ندمت على شتم العشيرة بعدما
مضى واستتبت للرواة مذاهبُه
فأصبحت لاأسْطِيعُ ردا لما مضى
كما لايردُّ الدر في الضرع حالبُه[25]

و لم يتوقف كلف العرب بالشعر على عصر من العصور وإنما ظهر في جميع فترات تاريخهم الطويل. فهذا المتنبي في العصر العباسي يقول:

ألستُ إذا ما قلت بيتا تناوحت
به الريح في شرقيِّها والمغارب
يقصِّر للسارين من ليلة السُرى
وتغدو عليه بالقيان الضوارب[26]

والشاعر المعاصر محمد مهدي الجواهري يقول عن شعره:

يتبجحون بأن موجا طاغيا
سَدوا عليه منافذا ومآربا
كذبوا فملء فم الزمان قصائدي
أبدا تجوب مشارقا ومغاربا
تستلُّ من أظفارهم وتحط من
أقدارهم، وتثلُّ مجدا كاذبا
أنا حتفهم ألج البيوت عليهم
أغري الوليد بشتمهم والحاجبا[27]

420 – العصر الذهبي للاستشهاد

ومن يتتبع الكتابة الأدبية في التراث العربي في

مختلف عصوره يجد أن الكتاب البارزين كثيرا ما طعموا كتاباتهم باقتباسات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وباستشهادات من رفيع الشعر وبديع النثر. وقد اعتبرت الاستشهادات وسيلة من أدوات الكاتب الجيد. ويذكر أبو هلال العسكري في مقدمة كتابه (جمهرة الأمثال) أن الهدف من الكتاب توفير المادة الملائمة للاستشهادات التي يضمنها المتكلم في كلامه والأديب في نتاجه، ويقول:"...وقد عُلم أن كلّ من لم يعن بها (أي بالشواهد بصورة عامة والأمثال منها بصورة خاصة) من الأدباء عناية تبلغه أقصى غاياتها، وأبعد نهاياتها، كان منقوص الأدب، غير تام الآلة فيه، ولا موفور الحظ منه..."[28].

ويعد كثير من الناس استخدام الكاتب الشواهد المتباينة والاقتباسات المختلفة دليلا على علمه وعمق ثقافته وتمكنه من الصنعة الأدبية.

وفي عصر النهضة الأدبية الأوربية أكثر الأدباء من إمعان النظر في الأعمال الإغريقية واللاتينية بحثا عن الشواهد التي يزينون بألفاظها كتاباتهم ويوشون بنصوصها مؤلفاتهم. وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين كانت الاستشهادات متداولة في الصالونات الأدبية وفي أحاديث المثقفين، وكانت تشكل ركناً أساسيا في محاضرات الأساتذة الجامعيين، ومرافعات المحامين والمتقاضين. وكان الناس يستلطفون الاستشهادات المحكمة ويعدونها دليلا على سداد رأي المتكلم وبرهاناً على ما يتمتع به من أصالة فكر وقوة حجة.

وقد بلغ الشغف باستخدام الشواهد في المحاضرات والمرافعات إلى درجة أن كثيرا من الأساتذة والمحامين كانوا يطنبون في سرد الاستشهادات ويستطردون في عرضها بصورة مملة، مما حدا بالكاتب المسرحي الفرنسي جان راسين (1639-1699) إلى تأليف مسرحية بعنوان (المترافعون) سخر فيها من المحاكم في زمانه وخاصة من المحامين الذين يكثرون من استشهادات ليست في موضعها ومستمدة من كتاب مغمورين لايعرفهم أحد[29].

وعلى الرغم من ذلك فإن الاستشهادات ظلت تتمتع بمكانة مرموقة في الآداب الأوروبية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وكان الأدباء يعتبرونها أمرا ضرورياً حتى إن أحد الكتاب المسرحيين الفرنسيين وهو البارون روجمون (1781-1840)، كان يبتدع كثيرا من الأقوال وينحلها المفكرين الفرنسيين المرموقين من أمثال فولتير وبوسيه، وكان ينظم أشعارا وينسبها إلى كورني وبوالو وآخرين، بل أكثر من ذلك كان يضع كلمات تاريخية وهمية على لسان نابليون ولويس الثامن عشر وشارل العاشر وغيرهم من المشاهير[30].

ولم يكن الأدب الأنجليزي أقل اهتماما بالاستشهادات من نظيره الفرنسي، فقد كانت حاجة الأدباء الإنجليز كبيرة لها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بحيث أقدم معجمي أنجليزي على نشر معجم خاص بالاستشهادات عام 1799 بعنوان (معجم الاستشهادات وخاصة من اللاتينية والفرنسية مترجمة إلى الإنجليزية)[31].ووصف المعجمي الإنجليزي الشهير جونسون (الشاهد التقليدي) بأنه "ضالة رجال الأدب

في جميع أنحاء العالم"[32] كما ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين عدة معاجم للاستشهادات في الولايات المتحدة الأمريكية وأنجلترا.

430 – مناقب الاستشهاد ومثالبه

يلحظ المتتبع لتوجهات الأدب العالمي المعاصر أن الاستشهاد فقد تدريجيا تلك المكانة السامقة التي كان يتمتع بها من قبل، و لم يعد الكتاب يميلون إلى الاحتجاج بأقوال من سبقوهم من الأدباء. ولعلّ هذه الظاهرة الجديدة أكثر وضوحا في الآداب الغربية منها في الأدب العربي، وربما استمعت إلى خطاب يلقيه رئيس دولة أو محاضرة على مدرجات إحدى الجامعات أو قرأت مقالا كاملا في صحيفة رائدة أو مجلة ممتازة دون أن يستعمل المتكلم أو الكاتب شاهدا واحدا في معرض كلامه كله.

ويمكن أن نعزو ذلك إلى تحول في أسباب التربية التي أخذت في التقليل من أهمية الحفظ والاستذكار والتركيز على الفهم والتحليل في عملية التعليم، فلم يعد التلميذ يحفظ عن ظهر قلب نصوصا دينية أو أدبية كثيرة يتمكن فيما بعد من الاستشهاد ببعضها عند الضرورة.

ومن ناحية أخرى، أخذ كثير من النقاد يشككك في قيمة استخدام الشواهد في الكتابة وأهميتها من حيث التأثير على القارئ المعاصر أو تقبله لها.

ومن المفيد أن نلقي نظرة على مناقب الاستشهاد ومثالبه في رأي بعض المفكرين المتخصصين.

431 – محاسن الاستشهاد

للشواهد الجيدة فوائد أساسية ثلاث:

أولاها، أن المتكلم يقدم في الشاهد الحجة التي يدعم بها رأيه بحيث يكون السامع أو القارئ أكثر استعدادا لقبوله، إما لإيمانه بصاحب الشاهد أو تعظيمه إياه، كما لو كان الشاهد مقتبسا من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو مقتطفا من أقوال الكتاب المبدعين والشعراء المفلقين والمفكرين المرموقين، ومشاهير الساسة والقادة ممن يعترف بفضلهم ويقر بعلمهم، ويتفق على أصالة تفكيرهم. فهنا يكون المتكلم قد كسب نصف المعركة –كما يقولون– بإقناع السامع أو القارئ برأيه وانحيازه إلى صفه.

وقد تنبه إلى أهمية الشاهد كثير من الأدباء منهم أبو هلال العسكري الذي قال:

"... ثم إني ما رأيتُ حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن، كحاجته إلى الشاهد والمثل، والشذرة والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما، **ويكسبه قبولا، ويجعل له قدرا في النفوس، وحلاوة في الصدور**، وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد، والتنوير في الروض، والتسهيم في البرد..."[33].

فالشاهد يساعد على شرح فكرة الكاتب ويجعلها أكثر وضوحا وأبعد تأثيرا ويزوده بحجة قوية، ويدعمه بحكم معترف بمتانته، ويسلحه برأي مقر بصوابه.

وثانيتها، أن الشاهد –إضافة إلى فخامة معناه– يمتاز بجزالة مبناه وجمال اللفظ وحسن العبارة. وكثيرا ما يلخص الشاهد فكرة عظيمة في كلمات وجيزة، وهكذا فإن استخدام الشواهد في ثنايا الكلام يزيده

رونقاً ويضيف إليه حلاوة وطلاوة، ويشبهه الأدباء العرب بـ "وشي الكلام وجوهر اللفظ وحَلْي المعاني"[34].

ويوضح الميداني مؤلف كتاب (مجمع الأمثال) أهمية الاستشهاد بالأمثال فيقول:

"... وتحوج الخطيب المِصْقَع والشاعر المُفلق إلى إدماجها وإدراجها، في أثناء متصرفاتها وأدراجها، لاشتمالها على أساليب الحسن والجمال، واستيلائها في الجودة على أمد الكمال..."[35].

وثالثتها، أن الكاتب الذي ينسب الأفكار التي يطرحها إلى مصادرها ويعزوها إلى منابعها، ويستشهد بأقوال من سبقه من الكتاب، يقدم البرهان على أمانته وصدقه، ويعطي الدليل على تواضعه وأدبه، بل يرى بعضهم في استشهاد الكاتب بامرأة مؤشرا إلى رجولته ودالا على شهامته.

432 – مساوئ الاستشهاد

ينسب بعض النقاد كثيرا من المثالب إلى الاستشهاد ويصمه بعيوب عديدة، وأهم الانتقادات الموجهة إلى الاستشهاد ما يلي:

أولا، إن الكاتب الذي يستشهد بغيره من الكتاب تعوزه الثقة بالنفس على طرح أفكار جديدة، أو تنقصه المقدرة على استنباط الآراء التي لم يسبقه إليها أحد، إنه يفتقر إلى الفصاحة والبلاغة اللازمتين لصياغة أفكاره بأسلوب جميل أخاذ فيلجأ إلى تطعيمه بكلمات بليغة يستجديها من مشايخ الأدباء، وأعلام الشعراء. وهو، على كل حال، كاتب لايتوفر على المؤهلات اللازمة لإقناع قارئه بوجهة نظره فيستنجد بكبار المفكرين، وكأنه كسيح يستعين في مشيته بعكازتين.

إن الاستشهاد هو فكر من لافكر له ورأي من لارأي له وبلاغة من لا بلاغة له[36].

ثانيا، إن الكاتب الذي يكثر من الشواهد المتنوعة المصادر المختلفة العصور، إنما يتباهى أمام قارئه بسعة معلوماته ويتفاخر بشمول معارفه وبين كثرة مطالعاته[37]. وما استخدامه لتلك العبارات الشهيرة الرنانة إلا محاولة يائسة لإخفاء فراغه من الفكر الأصيل وخلوه من القول البليغ، فمقاله كالطبل الأجوف علا صوته وخف وزنه.

غير أن بعض المفكرين لا يرون غضاضة في الاستشهاد بقول السابقين إلى الفكرة المبتكرة، ولا حطة في ذكر الفضل لأهله، وفي هذا يقول ابن المقفّع في كتابه (الأدب الصغير):

"ومن أخذ كلاماً حسناً عن غيره فتكلّم به في موضعه على وجهه فلا يرينّ عليه في ذلك ضؤولة، فإنه من أعين على حفظ قول المصيبين وهُدي للاقتداء بالصالحين ووفق للأخذ عن الحكماء فلا عليه أن لايزداد فقد بلغ الغاية، وليس بناقضه في رأيه، ولا بغائضه من حقه أن لايكون هو استحدث ذلك وسبق إليه، وإنما إحياء العقل الذي يتم به ويستحكم خصالٌ ست: الإيثار بالمحبة، والمبالغة في الطلب، والتشبث في الاختيار، والاعتقاد للخير، وحسن الوعي، والتعهد لما اختير واعتقد، ووضع ذلك موضعه قولاً وعملا"[38].

440 – كيفية استخدام الشواهد

وإذا أخذنا موقفا وسطا بين أنصار الاستشهاد وخصومه، وخير الأمور أوسطها، فإننا نستطيع القول

إن الاستخدام المحكم المؤثر للشواهد يتطلب شـــرطين أساسيين: أحدهما، الاقتصاد في الاستعمال، وثانيهما، الدقة في التوقيت، أوبعبارة أخـــرى عـــدم تكديـــس الشواهد في النص الواحد والاستشهاد بالمؤلف المناسب في الوقت الملائم، فلكل مقام مقال، كما يقـــال. وإذا كان الاستشهاد فنا فإن الدقة في استعماله موهبة. وفي هذا المعنى يقول القاضي عبد الرحيم القرشـــي (550-620هـــ) في مصنفه (معالم الكتابة ومغـــانم الإصابـــة) الذي وضعه لتوجيه المؤلفين إلى أســـاليب الكتابـــة الجيدة:

"...و إيراد البيت من الشعر في **مكانه**، والتمثل بالمثل السائر في **موضعه**، من أحسن أنـــواع الكتابـــة وأعظم فنونها..."[39].

ولقد أفرد أبو العباس القلقشندي (المتوفى ســـنة 821هـــ/1418م) فصولا طويلـــة في كتابـــه "**صبـــح الأعشى في صناعة الإنشا**" حول بيان وجه احتيـــاج الكاتب إلى الاستشهادات وكيفية الاســـتفادة منهـــا وطرائق استعمالها في الكتابة[40].

ولو تفحصنا كتابات مشاهير المؤلفين لوجدناهم يضمنون الشواهد في مؤلفاتهم بصورة محكمة وطريقة سلسة يستمتع بها القارئ ولايمجها، أمـــا الكتـــاب الفاشلون فيأتي استشهادهم متكلفا يعطي الانطباع بأن الكاتب رجل مغرور يتباهى بمعارفه أو رجل ضعيـــف الفكر يختمي تحت مظلة مـــن يستشـــهد بهـــم. إن الاستشهاد المحكم المطبوع يتطلب مرانا طويلا وذوقا رفيعا وموهبة أصيلة.

والاستشهادات لاتمثل حلية يزين بها الكـــاتب مقاله فحسب وإنما تعد كذلك مرجعا يستطيع القارئ الاعتماد عليه والإشارة إليه. ومن هنا ينبغي أن يحرص الكاتب على صحة الشاهد ودقته وإيراد الاقتباس دون تحوير يخل بمعناه أو بتر يشوه لفظه، وأن يعطي كل ذي حق حقه فلا ينسب القول إلى غير قائلـــه أو يعـــزو الفضل إلى غير صاحبه.

500 – مكانة الشاهد وشيوعه

يتفق جل الباحثين على أن الاختيار يقع علـــى الشاهد لما يجتمع فيه من فخامة المعنى وجزالة اللفـــظ. وهذا أمر مقبول تماما، غير أن مـــن يمعـــن النظـــر في الشواهد المستخدمة في كتب التراث العربي يجـــد أن بعض الشواهد يكتب لها البقاء والاستمرار والشـــيوع فيقبل عليها الكتاب والخطبـــاء في مختلـــف العصـــور ومتنوع الأقاليم، في حين أن شواهد أخرى تشـــيع في فترة معينة أو مكان محدد ثم تفقد جاذبيتها وتختفي من مسرح الاستعمال. وليست هذه الظاهرة وقفا علـــى الثقافة العربية وإنما نجدها في ثقافات الشعوب الأخرى، ففـــي الطبعـــة الثانيـــة مـــن (معجـــم أكســـفورد للاستشهادات) التي ظهرت بعد اثنتي عشرة سنة مـــن نشر الطبعة الأولى، أسقط مصنفـــو المعجـــم مئتـــين وخمسين استشهادا "لأنها لم تعد شائعة" علـــى حـــد تقديرهم[41].

ويخيل إليّ أن هنالك عددا من العوامـــل الـــتي تساعد على شيوع الشاهد وانتشاره إلى جانب العامل الذي أشرنا إليه والمتمثل في توفر الشاهد على رصانـــة المضمون وأصالته، وجمال الشكل وسلاسته. وأهـــم هذه العوامل ما يأتي:

510 – مكانة القائل

لايختلف اثنان في حقيقة أن مكانة القائل تسبغ على الشاهد جاذبية خاصة وتجعل السامع أو القارئ أكثر استعدادا لتقبله خاصة إذا كان المتلقي قد حفظ الشاهد من قبل. وفي التراث العربي تحتل الاقتباسات من كتاب الله وسنة نبيه (ص) مكانة خاصة في قلوب المسلمين، وكلام الله عز وجل مقدّم على أحاديث النبي (ص). ولا تستمد الشواهد القرآنية مكانتها من قداستها الروحية وبلاغتها الخارقة فحسب، وإنما لأن المسلمين يواظبون على قراءة القرآن الكريم وكثير منهم من يحفظ عن ظهر قلب قدرا كبيرا منه إن لم يكن كله. وهذا يفتح للشاهد القرآني أبواب التجاوب الروحي والمعرفي في قلب المتلقي.

ومن هذا المنطلق ذاته، يلاحظ أن أغلب الشواهد في الأدب العربي مستقاة من مشاهير الشعراء من أمثال امرئ القيس والمتنبي وأبي تمام والبحتري والمعري وابن الرومي، أو من أعلام البلغاء والخطباء والكتاب كالإمام علي بن أبي طالب، والجاحظ، وابن المقفع. ويبدو أن هذه الظاهرة تعم الآداب العالمية الأخرى فقد لاحظ مصنفو معجم أكسفورد للاستشهادات أن الأدباء الذين يكثر الاستشهاد بأقوالهم في الأدب الأنجليزي هم من الأعلام المشاهير من أمثال شكسبير وملتون وشيلي وبايرون وتنسون ووردزورث وكبلنغ وديكنز وجونسون والإنجيل[42].

520 – قدم الشاهد

الزمن عجيب أمره غريب فعله، يمر بكفه على أشياء فتسمى قديمة بالية ولكنه في الوقت نفسه يسربلها بشيء من هيبته ويكسوها بعض روعته، فيصبح لقدمها رونق ويضحى لعتقها بهاء، ولذا يرتفع ثمن التحف العتيقة في نظر التجار، وتسمو قيمة الأشعار القديمة في رأي النقاد. وقد أدرك ذلك الناقد العربي ابن قتيبة (ت 276هـ– 899م):

"... فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله..."[43].

ولعل القارئ يفضّل الشعر القديم مثلا على الشعر الحديث لأن القديم تناقله الكتاب كثيرا، ومر عليه عدة مرات، فنشأت بينه وبينه ألفة. أضف إلى ذلك أن الشاعر أو الأديب، بشكل عام، تثبت جودته وتتمكن أصالته بعد مرور الأيام وكرّ الليالي وبعد أن تكون علاقاته العامة أثناء حياته وما يرافقها من إعلان وإشهار قد اختفت، فأصبح يُقرأ لقيمة أدبه الحقيقية لا لمنزلته الاجتماعية أو مكانته السياسية.

530 – أفضلية الشاهد الشعري على نظيره النثري

الشعر أسهل حفظا من النثر بفضل موسيقى أوزانه وأنغام قوافيه. وقد لجأ كثير من العلماء المتخصصين إلى نظم علومهم شعرا تيسيرا لتذكرها من قبل المتعلمين وتسهيلا لحفظها على الطلاب، فنظم ابن مالك النحو في ألفيته ونظم ابن سينا الطب شعرا كذلك، وغيرهما كثيرون. وقد لحظ تلك الظاهرة الناقد ابن رشيق حيث قال:

"وقد اجتمع الناس على أن المنثور في كلامهم أكثر، وأقل جيدا محفوظا، وأن الشعر أقل، وأكثر

جيدا محفوظا، لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولاضاع من الموزون عشره[44].

وسهولة حفظ الشعر تيسر للمتكلم الاستشهاد به لأنه في متناوله، وتسهل للقارئ تذوق الشاهد وإدراك مراميه لأنه سبق أن حفظه. وسهولة حفظ الشعر هي التي تحمل أبياته على جناحيها وتحلق به في الآفاق البعيدة فيتلقفه الناس ويقبل عليه أصحاب الذوق. والشعراء يدركون ذلك ويفتخرون به. وقد وصف الشاعر أبو تمام شعره ومبلغ انتشاره في الأرض فقال:

وسيارة في الأرض ليس بنازح
على وخدها حزن سحيق ولا سهب
تذر ذرور الشمس في كل بلدة
وتمسي جموحا ما يرد لها غرب
عذارى قواف كنت غير مدافع
أبا عذرها لاظلم منك ولا غصب
إذا أنشدت في القوم ظلت كأنها
مسرة كبر أو تداخلها عجب
مفصلة باللؤلؤ المنتقى لها
من الشعر إلا أنه اللؤلؤ الرطب[45]

وإذا قبلنا بأفضلية الشعر على النثر، فإنه ينبغي التنبيه إلى أنه ليس كل بيت من الشعر يصلح للتمثل أو الاستشهاد. وإنما هنالك مجال واسع للتفاضل بين أبيات الشعر المختلفة. ولا شك أن أفضلها أصلح للاستشهاد من غيره. ويكاد يتفق معظم نقاد الشعر العربي على تقسيمه إلى أربعة أصناف: "1-ما حسن لفظه وجاد معناه، 2-ما حسن لفظه وحلا، وليس في معناه فائدة، 3-ما جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، 4-ما تأخر معناه وتأخر لفظه"[46].

ويطرح ابن قتيبة سؤالا وجيها هو: لماذا يختار الشعر ويحفظ، بصرف النظر عن حسن لفظه وجودة معناه؟ ويجيب على هذا السؤال بذكر جملة من العوامل لايختلف معه فيها كثير من النقاد. وهذه العوامل هي: الإصابة في التشبيه، وخفة الروي، وغرابة المعنى ونبل القائل ومكانته، وندرة شعر القائل أو لأنه لم يقل غيره[47].

ويصف محمد بن أيدمر مؤلف معجم الاستشهادات الشعرية الموسوم **بالدر الفريد وبيت القصيد** الشعر الذي يتضمنه معجمه فيقول: "وهذا الشعر المشار إليه هو ضالتي التي أنشدها، وحكمتي التي أحفظها وأنشدها، لأنني أتبع المثل المشهور السائر، وأطلب اللفظ الظاهر الجزالة الفاخر الذي قد هذبه النقل، وصقله العقل والفضل، فجمع بين فصاحة العرب، ومتانة الأدب، قد أحكمت مبانيه، وتكافأت ألفاظه ومعانيه، إذا سمع طمع فيه، وإذا طلب صعب على مبتغيه"..[48].

600 – طرائق الاستشهاد والاقتباس

بعد أن تطرقنا إلى نوعية الشاهد الذي يختاره المتكلم قد نتساءل عن كميته وطريقة إدماجه في الكلام. فهل يستطيع المتكلم مثلا أن يأتي بالقصيدة بأكملها في معرض حديثه أم يحق له أن يأتي ببيت منها

فقط على سبيل التمثل والاستشهاد؟ وأين موقع هذا البيت من كلامه؟ لقد درس العرب بعض هذه الموضوعات في علوم البلاغة ونورد هنا أهم طرائق الاستشهاد والاقتباس وهي: التنصيص، والتضمين، والتلميح، والعقد، والحل.

610 – التنصيص

أعني بالتنصيص هنا أن يأتي المتكلم بالنص الكامل للعمل الأدبي شعرا أو نثرا، ولا أتصور أن متكلما أو كاتبا يستشهد بالنص برمته إلا إذا كان ذلك النص قصيرا كحديث نبوي شريف أو مثل أو مقولة مشهورة لأحد المشاهير في مناسبة من المناسبات.

وقد جرت العادة أن لايتعدى الاستشهاد بيتا أو بيتين من الشعر أو بضعة أسطر من النثر. خاصة أن البيت في القصيدة العربية متكامل البناء والمعنى. وليس من المتعارف عليه أن يأتي الكتاب بالقصيدة جميعها أو بالنص النثري كله إلا إذا كان ذلك الكاتب ناقدا يسعى إلى دراسة تلك القصيدة أو تحليل ذلك النص.

620 – التضمين

في الاستعمال اللغوي العام نقول ضمّنَ الشيءَ الشيءَ جعله فيه وأودعه إياه. ولهذا فإننا نقول بصورة عامة إن الاستشهاد والاقتباس يعنيان قيام المتكلم بتضمين آية أو حديث أو سطر من النثر أو بيت من الشعر في كلامه. ولكن مصطلح التضمين في العلوم اللغوية له دلالات مختلفة. ففي النحو يعني التضمين إشراب كلمة معنى كلمة أخرى وتعمل عملها دلاليا أو نحويا مثل تضمين الفعل "يعلم" معنى الفعل "يميز" في الآية الكريمة ﴿والله يعلم المصلح من المفسد﴾ وتضمين الحرف "في" معنى "على" في الآية الكريمة ﴿ولاصلبنكم في جذوع النخل﴾ (طه:71). وفي الشعر يدل التضمين على تعلق قافية بيت بالبيت الذي يليه، أو بشكل عام، "افتقار البيت إلى غيره مما قبله أو بعده" كما يقول السجلماسي[49] ويعد التضمين من عيوب القافية، ومن أمثلته قول الفرزدق:

يجود وإن لم تَرتَحِل يا ابن غالب
إليه، وإن لاقيتَه فهو أجودُ...
من النيل إذ عَمَّ المنارَ غثاؤه
ومَن يأتِه من راغبٍ فهو أسعدُ

وفي علم الدلالة يشير التضمين إلى دلالة الكل على الجزء كدلالة اسم البيت على الحائط. أما التضمين في البديع، فهو "قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل"[50].

ومن الأمثلة على تضمين البيت بأكمله أو القسيم منه في آخر الشعر، مافعله الشاعر مجير الدين ابن تميم ببيتي المتنبي المشهورين:

أرخت ثلاث ذوائب من شعرها
في مهمه فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتني القمرين في وقت معا

فأخذ ابن تميم البيت الثاني وضمنه في قول له يصف به مرآة حبيبته:

طوبى لمرآة الحبيب فإنها
حملت براحة غصن بان أينعا

واستقبلت قمر الزمان بوجهها
فأرتني القمرين في وقت معا

ثم أخذ ابن تميم الشطر الاخير من بيت المتنبي وضمنه في قطعة شعرية يصف فيها فتاة تشرب من بركة:

أفدي الذي أهوى بفيه شاربا
من بركة راقت وطابت مشرعا
أبدت لعيني وجهها وخيالـه
(فأرتني القمرين في وقت معا)[51]

ومن أمثلة تضمين الشاعر لبيت من شعر غيره في وسط شعره، تضمين العباس بن الأحنف بيت ابن المعتز في قطعة له، والبيت هو:

وصب أصاب الحب سوداء قلبه
فأنحله، والحب داء ملازم
فقلت له إذْ مات وجدا بحبه
مقالة نصح جانبتها المآثم
(تحمل عظيم الذنب ممن تحبه
وإن كنت مظلوما فقل:أنا ظالم)
فإنك إن لم تحمل الذنب في الهوى
يفارقك من تهوى وأنفك راغم[52]

ومن التضمين في الشعر الحديث قول شاعر النيل، حافظ إبراهيم:

وكم غَضبَ الناس من قبلنا
لسلب الحقوقِ و لم نغضبِ
(وكم ذا بمصر من المضحكات)
كما قال فيها أبو الطيبِ
أمورٌ تمرّ وعيش يمرُّ
ونحن من اللهو في مَلعبِ

ومادة التضمين هنا صدر بيت أبي الطيب المتنبي المشهور

وكم ذا بمصرَ من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا

والأمثلة السابقة ترينا أن الاستشهاد لا يقتصر على الناثر وحده وإنما قد يستخدمه الشاعر كذلك، ولو أن هذا الضرب من البديع أصبح أقل شيوعا في الشعر مما مضى.

630 – التلميح والاكتفاء

التلميح في علم البديع هو إشارة إلى مثل سائر أو آية أو حديث أو بيت شعر مشهور أو قصة معلومة، وتكون هذه الإشارة بكلمة أو كلمتين على خلاف التضمين الذي يتطلب الإتيان ببيت الشعر بأكمله أو بشطر منه. وفرق آخر بين التضمين والتلميح هو أن التضمين -في معناه البلاغي المختص- يقتصر على الشعر، في حين أن التلميح -في معناه البلاغي المختص- يستخدم في الشعر والنثر معا.

ومن أمثلة التلميح في الشعر قول ابن الوردي:

إذا كرهت منزلا
فدونك التحولا
وإن جفاك صاحب
فخذ عليه بدلا

کتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
وزارت معارف اسلامی

لا تحملن إهانـــــــــة
من صاحب وإن عـــــــــلا
فمن أتى فمرحبـــــــــا
ومن تولـــــــــى فإلـــــــى

أي (إلى حيث ألقت رحلها أم قشـــعم) أو (إلى جهنم وبئس المصير).

وتتداخل حدود التلميح بضـــرب آخـــر مـــن ضروب البلاغة هو (الاكتفاء). والاكتفاء هو أهم من التلميح إذ "هو أن يحذف بعض الكلام ويستغنى بدلالة الموجود عليه"[53] سواء أكان الكلام المحذوف شـــاهداً معروفاً أم مجرد معنى جديد أراده القائل واستدل عليه السامع أو القارئ من السياق. ومن أمثلة الاكتفاء قول مهيار الديلمي:

ولمتِ في البرقِ زفراتي، فلو علِمت
عيناك من أين ذاك البارق الســـاري

أي:لما لمتني، فالمحذوف هنا جواب الشرط، وليس بمثل سائر أو بيت شعر مشهور أو آية قرآنية محفوظة.

ويمكن أن نقول إن كل تلميح هو بمثابة اكتفـــاء وليس كل اكتفاء بتلميح. ومن ناحية أخرى فإن كل تلميح وكل اكتفاء نوع من الحذف أو الإيجاز[54].

640–العقد

العقد هو نظم النثر ويشترط فيه أن يأخذ الشاعر بحمل ألفاظ المنثور أو معظمها مع إجراء التحويـــرات والتعديلات الطفيفة اللازمة لادخالها في أحـــد الأوزان الشعرية[55] فالحديث النبوي المشهور "الأرواح جنـــود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلـــف" نظمه أبو نواس فقال:

إن القلوب لاجناد مجنـــــدة
بالإذن من ربها تهوى وتأتلـــــف
فما تعارف منها فهو مؤتلـــف
وما تناكر منها فهو مختلـــــف

وقد يكون العقد ضربا من اقتباس المعنـــى دون التقيد بالألفاظ ومن أمثلة ذلك قول أبي العتاهية:

إذا المرء لم يعتق من المال نفســـه
تملكه المال الذي مالكـــــــه
ألا إنما مالي الذي أنا منفـــــق
وليس لي المال الذي أنا تاركـــه
إذا كنت ذا مال فبادر به الـــذي
يحق وإلا استهلكته مهالكـــــه

ويروي ثمامة بن أشرس (ت213هـــ) وهو أحد كبار المعتزلة البلغاء أنه عندما أنشـــده أبو العتاهيـــة هـــذه الأبيات سأله ثمامة: من أين قضيـــت بهـــذا؟ فأجـــاب أبو العتاهية: من قول رسول الله صلـــى الله عليه وسلـــم: "إنما لك يا بن آدم من مالك ما أكلت فـــأفنيت أو لبســـت فـــأبليت، أو تصدقـــت فأمضيت"[56].

650 – الحل

الحل هو عكس العقد، ويشير إلى نثر الشـــعر. ويضرب ابن رشيق مثلا في البيت الذي قاله الأقرع بن حابس أو حاتم الطائي:

إذا ما أتى يوم يفرق بيننـــا
بموت فكن أنت الذي تتأخـــــر

فقد أخذه بعـــض الكتـــاب وقـــال:"قُدّمـــت قبلك"[57].

ومن أمثلة الحل قول بديع الزمان الهمداني:

"في الأرض مجال إن ضاقت ظلالك، وفي الناس واصل إن رثت حبالك"، فهو حلّ لبيت معن بن أوس:

وفي الناس إن رثّت حبالك واصل

وفي الأرض عن دار القلى متحوّل[58]

700 – نسبة الشاهد إلى قائله

عندما يستشهد الكاتب بقول ما وينسبه إلى قائله فإنه يكون أبعد تأثيرا في قرائه خاصة إذا كان القائل مفكرا مشهورا يحظى بإعجاب القراء وتقديرهم وذا مكانة خاصة في قلوبهم إضافة إلى ذلك أنّ الإسناد يساعد على تيسير الرجوع إلى المصادر لمن يريد التوسع في البحث.

وهذا هو الأمر المعتاد في قضايا الاستشهاد. ولكن من يلقي نظرة فاحصة على التراث الفكري العربي كثيرا ما يلاحظ وجود ظاهرتين: إحداهما إغفال نسبة الشاهد إلى قائله، والأخرى نسبة الشاهد إلى غير قائله.

710– إغفال نسبة الشاهد إلى قائله

في أحيان كثيرة، يكون الغرض من سرد الشاهد تقديم الدليل على قاعدة نحوية مستخلصة، أو ظاهرة بلاغية مستنبطة، وفي كل هذه الحالات يكمن الدليل في الشاهد نفسه وليس في قائله أو مكانته، وهكذا فلا يرى الكاتب ضرورة البحث عن القائل أو ذكره تمشيا مع مقولة الإمام علي بن أبي طالب "لاتنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال".

أضف إلى ذلك أن كثيرا من الشواهد مأخوذة من الأمثال السائرة والأقوال المأثورةالتي تضرب جذورها في أعماق التاريخ العربي وغالبا ما نسي قائلها أو لم تنسب أبدا إلى شخص معين.

ولذلك جرت العادة في كثير من المؤلفات على الإتيان بالشواهد بعد عبارات مبهمة مثل "كما قال الشاعر أو "وقال الآخر". ولقد أزعج هذا الأمر أحد أدباء القرن العاشر الهجري السيد عبد الرحيم العباسي الذي لاحظ أن كتابا واسع الانتشار هو: (تلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني) يورد الشواهد الشعرية دون أن ينسبها إلى أحد، وكثيرا ما يبقى الدارس متشوقا لمعرفة قائلها، فقرر السيد العباسي أن يؤلف كتابا بذلك أسماه (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص) ذكر في مقدمته الأسباب التي حدت به إلى تأليفه، فقال:

"وفيه (أي في كتاب تلخيص المفتاح) من الشواهد الشعرية ما يُعزى للأقدمين، وما ينسب للمولدين، إلا أن أكثرها مجهول الأنساب، مغفول الأحساب، وربما عزاه بعض شارحي الكتاب لغير قائليه ونسبه إلى غير أبيه: إما لاشتباه في الأوزان أو تماثل في المعان..."[59].

وفي هذا القرن غذى حب الاستطلاع الناس لمعرفة قائلي الشواهد المشهورة برنامجا إذاعيا بعنوان (قول على قول) يجيب فيه عن الأسئلة التي كانت تصله من جميع أنحاء الوطن العربي وخارجه وتكاد هذه الأسئلة تتخذ صيغة واحدة هي "من القائل وما المناسبة؟" قدمه السيد حسن الكرمي لمدة عشرين عاما وأصدر حصيلته في اثني عشر مجلدا[60].

ولعل الحرص على الشواهد النحوية ونسبتها إلى

قائليها والتعريف بهم كان يكمن وراء تصنيف واحدة من أسمى موسوعات علوم اللغة العربية وآدابها هي (خزانة الأدب) لعبد القادر بن عمر البغدادي (1030-1093) فهي في حقيقة أمرها شرح لشواهد الرضي الاستراباذي على كتاب (الكافية) في النحو لابن الحاجب المتوفى سنة 646 هـ وعدتها 957 شاهداً.

وتكتسي نسبة الشاهد النحوي إلى قائله ومعرفة طبقته أهمية خاصة لدى اللغويين الأوائل، وذلك للتأكد من أن القائل ينتمي إلى الشعراء الجاهليين أو المخضرمين أو الإسلاميين المتقدمين فيعتد باستعمالاته اللغوية أم أنه لواحد من المولدين المحدثين الذين قد لا يصح الاستشهاد بكلامهم وفي هذا يقول البغدادي:

"وعلم مما ذكرنا من تبيين الطبقات التي يصحُّ الاحتجاج بكلامها - أنه لايجوزالاحتجاج بشعر أو نثر لايعرف قائله، صرح بذلك ابن الانباري في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف؛ وعلة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعا، أو لمولّد، أو لمن لايوثق بكلامه"[61].

720 - نسبة الشاهد إلى غير قائله

وهذه الظاهرة تسبب صعوبة كبيرة للمتخصصين في تاريخ الأدب العربي، ونقاد الشعر، ومصنفي معاجم الاستشهادات فكثيرا ما ينسب الشاهد المعروف إلى عدد من الشعراء في آن واحد. ولنضرب مثلا على ذلك البيت المشهور الذي يحفظه التلاميذ في المدارس ويستشهد به العامة والخاصة:

لاتنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

فالمشهور أن هذا البيت هو من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي (605-688م)، ولكن الآمدي في كتابه (المختلف والمؤتلف) نسبه إلى المتوكل الليثي الذي يعرف أحيانا بالمتوكل الكناني (في عهد معاوية)، ونسبه إليه كذلك الزمخشري في المستقصى، والمرزباني في (معجم الشعراء). ونسبه سيبويه إلى الأخطل (حوالي 640-710م) ونسبه الحاتمي إلى سابق البربري، ونقل السيوطي عن تاريخ ابن عساكر أنه للطرماح بن حكيم (ت حوالي 723م)[62].

ومن الأمثلة في هذا المضمار كذلك البيت التالي:

كلانا غني عن أخيه حياته
ونحن إذا متنا أشدُّ تغانيا

فهذا البيت ينسب إلى عبد الله بن معاوية، والمغيرة بن حبناء، والأعشى، ونصيب الأصغر، وسيار بن هبيرة، والأبيرد الرياحي[63].

ويمكن تلخيص الأسباب التي أدت إلى هذه الظاهرة بما يلي:

721 - رواية الشعر

في العصر الجاهلي وصدر الإسلام لم يكن التدوين منتشرا و لم تكن الطباعة متوفرة، وإنما كان الرواة يؤدون دور دُور النشر، أو وسائل الإعلام المعاصرة، فيحفظون الشعر وينشدونه في حلقات العلم، ومجالس الأدباء، وقصور الأمراء والأثرياء. وكان لبعض الشعراء المفلقين رواة يختصون بهم ويرافقونهم ويروون شعرهم في حياتهم وبعد مماتهم. ويتناقل الناس الشعر الجيد شفاها معتمدين في ذلك على الذاكرة وقد تخون الذاكرة صاحبها فينسب البيت

إلى غير قائله أو يخلط بين قصيدتين إما لتماثل الأوزان والقوافي، أو تشابه الأفكار والمعاني. وهكذا فإن بعض حفاظ الشعر تسببوا أحيانا في نسبة بعض الأبيات إلى غير قائليها.

722 – نحل الرواة

لقد اشتهر من رواة الشعر في القرنين الأول والثاني للهجرة الأصمعي (حوالي 740–828م) وخلف الأحمر (ت796م) وحماد بن المبارك أبو القاسم المعروف بحماد الراوية (ت772م) وأبو عمرو الشيباني (ت حوالي 812م). وكان معظم هؤلاء يتوفر على قابلية مدهشة في حفظ الشعر وتذوقه ويتحلى بمقدرة هائلة على نظمه وتدبيجه، ولكن بعضهم لم تكن لهم نفس القدرة على تحمل الأمانة وتجنب الكذب. فقد كان منهم من ينظم الشعر وينحله الشعراء أحيانا أو يزيد في شعرهم أبياتا لأسباب متباينة: دينية وسياسية وقبلية وغيرها. وفي هذا يقول ابن سلام "كان أول من جمع أشعار العرب، وساق الأحاديث حماد الراوية. وكان غير موثوق به، وكان ينحل شعر الرجل غيره، ويزيد في الأشعار".[64]

ويقول المبرد "وكان خلف علاّمة، يقول الشعر عبثا واعتداء، وكان الأصمعي ينحل الشعراء أيضا نحوا من ذلك إلا أنه لم يكن يتسع اتساع خلف"[65].

ويقول ابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد):

"وكان خلف مع روايته وحفظه يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء... وكذلك كان يفعل حماد الراوية: يخلط الشعر القديم بأبيات له"[66].

وهذا مما حدا بالدكتور طه حسين إلى الشك في صحة الشعر الجاهلي، وبسط وجهة نظره تلك في كتابيه (في الشعر الجاهلي)[67] وفي (الأدب الجاهلي)[68] اللذين أثارا ردود فعل مختلفة. وفند آراءه طائفة من النقاد والكتاب في مؤلفات عديدة اشتهر منها رسالة في الآداب قدمها ناصر الدين الأسد إلى جامعة القاهرة عام 1955 بعنوان (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) وحاز عليها درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز[69].

ومهما كانت حقيقة الخلاف حول الشعر الجاهلي فإن من الثابت أن بعض الرواة كان ينظم الشعر وينحله الشعراء، أويخلط الشعر ببعضه متعمدا، مما أدى إلى عزو أبيات إلى غير قائليها.

723 – التضمين

أشرنا إلى أن التضمين في البلاغة هو إتيان الشاعر ببيت من الشعر أو بشطر منه في آخر شعره على سبيل الاستشهاد أو التمثل. وهذا أسلوب مقبول لاغبار عليه. ولكن المشكل يكمن في مدى شهرة البيت المضمّن، فإذا كان معروفا لشاعر مرموق لم يؤد التضمين إلى اللبس، أما إذا كان البيت المضمّن لشاعر مغمور وكان الشاعر المضمّن مشهورا فإن السامع أو الراوية قد ينسب هذا البيت إلى الشاعر الأخير، وهكذا يُنسب البيت إلى غير قائله خاصة أن للبيت المضمّن نفس الوزن وذات الروي وينسجم معناه مع سياقه في القصيدة.

وللنظر على سبيل المثال إلى قصيدتين يرد فيهما البيت المختلف في نسبته وهو:

لاتنه عن خلق وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

فقد ورد هذا البيت في قصيدة لأبي الأسود الدؤلي ومطلعها:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
تصف الدواء وأنت أولى بالدوا
وتعالج المرضى وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

ومَن ينسبه إلى المتوكل الليثي يقول إنه ورد في قصيدته التي مطلعها:

للغانيات بذي المجاز رسوم
فببطن مكة عهدهُنَ قديم

وفيها:

قد يكثر النكس المُقصِّر همَّه
ويقلّ مال المرءِ وهو كريم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك أذا فعلت عظيم
والهمُّ إن لم تُمضه لسبيله
داءٌ تضمّنه الضلوع قديم

وهنا يتساءل المرء أليس من الممكن أن يكون المتوكل الليثي قد أودع هذا البيت قصيدته على سبيل التضمين، ولكن لعدم استخدام الكتابة التي تُمكّن من وضع البيت بين الأهلة أو الإشارة إلى مصدره في الهوامش، اختلط الأمر على الرواة وعدّوه جزءا من قصيدة المتوكل الليثي ونسبوه إليه؟

وتزخر كتب التراث العربي بالأمثلة على نسبة البيت الواحد إلى عدد من الشعراء ومن هذه الأمثلة البيت المشهور في المدح:

ولو لم يَكُنْ في كفّه غَير نَفْسِه
لجاد بها فليتق الله سائله

وورد هذا البيت في قصيدة طويلة لعبد الله بن الزبير الأسدي في مدح أسماء بن خارجة الفزاري جاء فيها:

تراه إذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذي أنت نائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائله

-ونسب ابن خلكان هذا البيت إلى زينب بنت الطثرية (ت نحو 153 هـ / 754م) في قصيدة منها:

أشمُّ إذا ما جئت للعرف طالبا
حباك بما تحثو عليه أناملُه
ولو لم يكن في كفه غير نفسه
لجاد بها فليتق الله سائله

-ولكن ابن خلكان أضاف قائلا إن هذين البيتين ينسبان كذلك إلى زياد الأعجم (ت نحو 100هـ / 718م). وهذا هو رأي ابن رشيق في العمدة.

-وورد هذا البيت في ديوان أبي تمام (188 - 231هـ/804/ -846م) خلال قصيدة يمدح بها الخليفة العباسي المتوكل:

تعود بسط الكف حتى لو أنـــه
ثناها لقبض لم تطعه أناملـــــه
ولو لم يكن في كفه غير نفســـه
لجاد بها فليتق الله سائلـــــه[70]

ولا شك أن هذا البيت لأحد المتقدمـين مـن هؤلاء الشعراء وأتى الآخرون به في قصائدهم علـى سبيل التضمين، وبمرور الزمن اختلط الأمر علـى رواة الشعر ونقاده.

وقد أشار أبو العلاء المعري (363-449هـ / 937-1058) إلى هذه الظاهرة حين عرض في (رسـالة الغفران) للبيتين المشهورين:

تصدّ الكأس عنا أم عمـرو
وكان الكأسُ مَجراها اليَمينـا
وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمـرو
بصاحبك الذي لا تصبحينـا

فالمعري يصرُّ على نسبتهما إلى عمرو بن عـديّ اللخمي، على الرغم من أن عامة الناس ينسبونهما إلى عمرو بن كلثوم التغلبي لأنهما وردا في معلقتـه الـتي مطلعها:

ألا هبي، بصحنك، فاصبحينـا
ولا تبقي خمور الأندَرينـا

ويقول أبو العلاء المعري "... فلعل عمرو بـن كلثوم حَسَّـنَ بهمـا كلامـه واستزادهمـا في أبياتـه"[71].

وقد عدّ نقاد الشعر العربي هذا التضمين نوعـا مسموحا به من الاصطراف. (والاصطراف) هـو أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصطرفه إلى نفسـه ويضمنه في شعره، فإذا كان هذا الاصطـراف علـى سبيل الاستشهاد والتمثيـل سمـي (بـالاجتلاب أو الاستلحاق)، أما إذا رافق الاصطراف ادعاء الشـاعر البيت جملة وتفصيلا فإنه (الانتحال)[72].

724 – السرقات الشعرية

وتعدُّ السرقات الشعرية في طليعة أسباب نسـبة الواحد إلى أكثر من شاعر. وقـد أثـار موضـوع السرقات الشعرية اهتمـام الأدبـاء والنقـاد قديمـا وحديثا[73]، فأفاضوا في الحديث عنهـا وأسـهبوا في تصنيفها وإطلاق الأسماء على كل صنف من أصنافها، ففرقوا بين الانتحال والاهتدام والإغـارة والغصـب والمرافدة.

والانتحال هو أخذ الشاعر بيتا من شعر غـيره وادعاؤه إياه لنفسه. وقد فرقوا بين أخذ البيت بلفظـه ومعناه معا أو أخذ المعنى فقط. فقالوا من أخـذ بيتـا بلفظه كان سارقا، فإن أخذ معناه وغيّر بعض لفظـه كان سالخا، ومن غير معناه ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان حاذقا[74]. ومن الأمثلة على الانتحـال الكـامل انتحال جرير للبيتين التاليين:

إن الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لايزال معينـا
غيضن من عبراتهن وقلن لي:
ماذا لقيت من الهوى ولقينـا

ويقول ابن رشيـق القيروانـي إن الـرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعـدي انتحلهما جرير[75].

والاهتدام هو سرقة ما دون البيت على سـبيل

الادعاء لاالتضمين أو الاستشهاد.

والإغارة هي أن يأخذ شاعر مشهور بيتا من شاعر مغمور فيروى له دون قائله، كما أخذ الفرزدق من جميل في أول عهده بالشعر بيته:

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

و لم يسقط جميل هذا البيت من شعره، وأثبت في ديوانه بعد ذلك

والسلخ أو الإلمام هو أخذ المعنى لااللفظ، فبيت البحتري:

تَصُدُّ حياءً أن تراك بأوجُهٍ

أتى الذنبَ عاصيها، فَلِيمَ مطيعُها

سلخه المتنبي بأفضل منه:

وجُرمٍ جرّه سفهاء قومٍ

وحلَّ بغيرِ جارِمِهِ العقابُ

وقد يأتي السلخ شيئا ولا يؤدي إلى تجويد اللفظ[76].

أما الغصب فهو أن يأخذ شاعر آخر بيتا (أو أكثر من الشعر) يتنازل عنه صاحبه تحت التهديد، ويسقط ذلك البيت من شعره ولايعلنه.

والمرافدة هي أن يعين شاعر آخر بأبيات يهبها له عن رضى وطيب خاطر.

ولابد أن هذه الضروب من السرقات الشعرية وما شاكلها تسبب نوعا من الخلط لرواة الشعر غير المطلعين على الأسرار، وقدرا كبيرا من الارتباك للكتاب غير المعاصرين لأولئك الشعراء. وحصيلة ذلك كله نسبة بعض الأبيات إلى غير قائلها أو أكثر من قائل.

725 – الموارِدة

الموارِدة (أو مايسمى أحيانا بتوارد الخواطر) هي اتفاق شاعرين في المعنى وتماثلهما في اللفظ في بيت من الأبيات دون أن يلقى أحدهما الآخر أو يسمع بشعره. ويزعم بعض النقاد أن أقدم الأمثلة على الموارِدة بيتان من الشعر الجاهلي، الأول:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم

يقولون: لاتهلك أسى وتجمل

الذي ورد في معلقة امرئ القيس المشهورة التي مطلعها:

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

والبيت الثاني هو:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم

يقولون: لاتهلك أسى وتجلد

الذي ورد في معلقة طرفة بن العبد التي مطلعها:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ويزعم هؤلاء النقاد أن البيت الثاني لم يثبت في معلقة طرفة بن العبد إلا بعد أن حلف أنه لم يسمع ببيت امرئ القيس من قبل. ومع أنني شخصيا أشك بصحة هذه الرواية، فإنه ليس من المستحيل أن تحصل الموارِدة وإن كانت نادرة جدا. ويروي الحاتمي أن الأصمعي سأل أبا عمرو بن العلاء يوما قائلا: "أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلق أحد منهما صاحبه ولاسمع بشعره؟" فأجاب أبو عمرو قائلا: "تلك عقول رجال توافت على ألسنتها"[77].

وعندما سُئِل الشاعر المتنبي عن ذلك قال: "الشعر جادة وربما وقع الحافر على الحافر"[78].

وإذا قبلنا بإمكان حدوث الموارد تسنى لنا أن نعدّها سببا من أسباب نسبة البيت الواحد إلى أكثر من شاعر.

726 – الإجازة

الإجازة هي أن يأخذ الشاعر بيتا من شعر غيره ويضيف إليه بيتا أو أكثر من عنده بنفس الوزن والروي والموضوع. وقد يُطلب إلى الشاعر أن يفعل ذلك ومن أمثلة ذلك ما تجده في ديوان المتنبي من أن سيف الدولة الحمداني عندما كان يعجب ببيت من الشعر يطلب إلى المتنبي إجازته[79].

وإذا لم يكن الراوية دقيقا في تحريه ونقله وإذا لم يكن البيت المجاز معروفا وصاحبه مشهورا، يحق لنا أن نتصور أن البيت المجاز قد ينسب إلى الشاعر الذي أجازه لانسجامه مع قصيدته وزنا وقافية وموضوعا.

وهكذا تكون الإجازة من أسباب نسبة البيت الواحد إلى أكثر من قائل.

727 – تزايدات النسّاخ

ومن أطرف الأمور التي تؤدي إلى نسبة البيت إلى أكثر من شاعر ماذكرته خيرية محمد محفوظ فقد أشارت إلى أن بعض النساخ يدسون في أثناء ما ينسخون بعض الأشعار التي لائمت إلى ديوان الشاعر بصلة ليزيدوا في حجم ما ينسخون فينفق سوقه ويغلو سعره، أوللانتقام من الشاعر والغض من قدره.

ونبهت الباحثة إلى أن ديوان كشاجم يضم فيما يضم عشرين قصيدة منسوبة كذلك إلى غيره من الشعراء من أمثال أبي عثمان الخالدي وأبي بكر الخالدي. وفي ذلك يقول الثعالبي في كتابه (يتيمة الدهر): "... وقعت في بعض نسخ من ديوان كشاجم أشعار ليست في الأصول المشهورة منها وقد وجدتها كلها للخالديين بخط أحدهما وهو أبو عثمان سعيد بن هاشم"[80].

800 – معجم الاستشهادات

ينبغي التوسع في تعريف كلمة (معجم) لتنطبق على معاجم الاستشهادات. فـ (المعجم) في علم اللغة التطبيقي عبارة عن كتاب ترتب فيه مفردات اللغة وفق ترتيب معين وتعطى معانيها باللغة ذاتها أو بلغة ثانية مع معلومات أخرى عن تلك المفردات[81]، في حين تتألف مواد معجم الاستشهادات لا من المفردات والألفاظ وإنما من الشواهد ولاتعطى عادة معاني هذه الشواهد وإنما تنسب إلى قائلها. وهكذا يمكن تعريف معجم الاستشهادات بأنه كتاب يضم الشواهد النثرية والشعرية مرتبة ترتيبا معينا مع بعض المعلومات عنها.

810 – طبيعة معجم الاستشهادات

ويختلف معجم الاستشهادات عن المعجم اللغوي أو المعجم الموسوعي من حيث الغرض والمادة والجمهور المستهدف. فالغرض من المعجم اللغوي أو المعجم الموسوعي هو عرض ممنهج لمفردات اللغة وتقديم معلومات لغوية مختصرة أو معلومات لغوية وحضارية موسعة عنها. أما غرض معجم الاستشهادات فهو عرض ممنهج لنصوص أدبية مقتبسة، ونسبتها إلى قائليها ومصادرها. وتبعا لاختلاف الغرض بين المعجمين تتباين مادتهما ويتنوع جمهورهما.

كما يختلف معجم الاستشهادات عن كتب المختارات الأدبية، الشعرية منها والنثرية، فعلى الرغم من التماثل الكبير بينهما في المادة فإن سر الاختلاف يكمن في المادة ذاتها. صحيح أن معجم المختارات الشعرية يضم أفضل ما قاله كل شاعر وأن معجم الاستشهادات يضم كذلك أفضل ما قاله كل شاعر، إلا أن كتاب المختارات الشعرية يضمنه مؤلفه الأشعار التي يلمس فيها قيمة فنية أو يرى أنها تتميز عن غيرها بأهمية خاصة، أو أنه يعتقد إمكان الاستشهاد بها في المستقبل، أما مصنف معجم الاستشهادات فإنه لايدرج في معجمه إلا تلك الأشعار التي يستشهد بها فعلا ويستشهد بها بكثرة بصرف النظر عن قيمتها الفنية أو أهميتها الموضوعية، فأساس الاختيار في معجم الاستشهادات هو الاستعمال والشيوع، أما في كتاب المختارات الأدبية فهو القيمة الفنية والأهمية الموضوعية. وفرق آخر بين كتاب المختارات الشعرية ومعجم الاستشهادات هو أن الأول يضم المقطوعات الشعرية المختارة بأكملها أو معظمها، أما الثاني فيقدم ما يستشهد به منها فقط وهو لا يتعدى عادة بيتا أو بيتين.

ويختلف معجم الاستشهادات كذلك عن الفهرست، كفهرست آيات القرآن الكريم[82]، فعلى الرغم من أن الكتابين - المعجم والفهرست- يتناولان آيات قرآنية ويرتبانها موضوعيا أو ألفائيا، فإن فهرست القرآن الكريم يرتب جميع آيات القرآن الكريم أما كتاب الاستشهادات فيضم الآيات التي يكثر الاستشهاد بها فقط. وبنفس الطريقة يمكن التفريق بين معاجم الاستشهادات وكتب الأمثال، علما بأن كتب المختارات الشعرية وفهارس القرآن والحديث وكتب الأمثال تكون من بين مراجع أو مصادر معاجم الاستشهادات.

وبعد هذا وذاك فإن معجم الاستشهادات يختلف عن فهارس القرآن وفهارس الحديث وكتب الأمثال والمختارات الشعرية في كونه لا يقتصر على الآيات أو الأحاديث أو الأمثال وإنما يضم بين دفتيه كل ما يستشهد به فعلا من نثر أو شعر مهما كان مصدره، إلا إذا كان معجم الاستشهادات هذا متخصصا. فمن الممكن جدا تصنيف معجم اقتباسات من القرآن الكريم فقط.

ولمعجم الاستشهادات أصناف عديدة، فهو إما أن يكون معجما يشتمل على الاستشهادات من الشعر والنثر في جميع الموضوعات ويغطي مختلف الفترات الزمنية ومتباين الأماكن الجغرافية، وإما أن يكون معجم استشهادات متخصص، من حيث النوع الأدبي فيحتوي على الاستشهادات الشعرية مثلا [83]، أو من حيث الموضوع فيضم الاستشهادات الشعرية والنثرية حول موضوع واحد فقط[84]، أو من حيث الفترة الزمنية، فيتناول الاستشهادات المأخوذة من الفترة المعاصرة مثلا، أو من حيث المنطقة الجغرافية أو اللغوية، فيقدم الاستشهادات من بلاد معينة أو من العالم أجمع[85].

820 - تاريخ معاجم الاستشهادات

إذا كان الاستشهاد بكلمات من النثر أو أبيات من الشعر قديماً قدم النثر والشعر، فإن جمع الشواهد

لأغراض لغوية: نحوية ومعجمية، لم يبدأ إلا في القرن الأول الهجري، و لم تظهر الكتب التي تخصصت في جمع الشواهد الشعرية لجمال لفظها أو طرافة معناها إلا في أوائل القرن الثالث الهجري[86].

ويبدو أن معاجم الاستشهادات في التراث العربي نادرة جدا لدرجة أن **معجم المعاجم**[87] الذي يشتمل على عناوين أكثر من ألفي معجم عربي من جميع الأصناف والأنواع وفي مختلف الموضوعات والعلوم، لا يذكر معجما واحدا من معاجم الاستشهادات. وعلى الرغم من البحث العميق والاستقصاء الدقيق فإنني لم أعثر إلا على معجم واحد مختص بالاستشهادات الشعرية ومازال مخطوطا صوّر منه الأستاذ فؤاد سيزكين مئتي نسخة فقط ونشرها بخطها الأصلي دون تحقيق. وهذا المعجم يحمل عنوان **الدر الفريد وبيت القصيد** لمؤلفه محمد بن سيف الدين أيدمر بن سكزبر كونجك (639- بداية القرن الثامن الهجري).

ومما يدل على ندرة معاجم الاستشهادات في التراث العربي أن أيدمر نفسه أشار في مقدمة معجمه إلى أن جهود أسلافه في جمع "الأبيات المتداولة في التمثيل والاستشهاد" إنما هي "قليلة ومعدودة"[88] في هذا المضمار، مما حدا به إلى جمع نحو عشرين ألف بيت من "الأبيات المتداولة في التمثيل والاستشهاد" ورتبها ترتيبا ألفبائيا ونسب معظمها إلى قائليها، وقدم لها بمقدمة ضافية تشتمل على دراسة بلاغية للشعر العربي تناول فيها أسباب الشعر وأدوات الشاعر وأصناف البديع.

وإذا كانت هناك معاجم الاستشهادات قبل (الدر الفريد وبيت القصيد) فإنها لا شك كانت محدودة في نطاقها متواضعة في هيكلتها، وهذا ما دعا الأستاذ فؤاد سيزكين إلى وصف كتاب (الدر الفريد وبيت القصيد) بأنه ذروة ما وصل إليه الأدباء العرب في جمع الشواهد الشعرية على أساس قيمتها الجمالية أو أهميتها اللغوية[89].

وقد ذكر ابن خلكان في كتابه الذائع الصيت (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) أن من بين مؤلفات الشاعر أبي العَمَيْثَلِ عبدُ الله بن خُلَيد (المتوفى سنة 240 هـ) كتاب (الأبيات السائرة) و لم أقف عليه. ولعله - كما يبدو من عنوانه - يشتمل على الأبيات الشعرية التي يكثر الاستشهاد بها.

ولقد اطلعت على كتاب (الشوق والفراق) وهو أحد الأجزاء الإثني عشر من كتاب (المنتهى في الكمال) لمؤلفه محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي (ت حوالي 330هـ/ 942م)، وقد جمع المؤلف في هذا الجزء أفضل ما قيل في (الشوق والفراق) من شعر ونثر، ويمكن أن يعد هذا الجزء بكثير من التسامح نوعا من أنواع معاجم الاستشهادات المتخصصة[90].

وإذا كان حظ الصناعة المعجمية العربية- وهي عميدة الصناعات المعجمية في العالم- في مجال معاجم الاستشهادات يسيرا، فإن الصناعات المعجمية الأخرى أقل حظا في هذا المضمار. ففي اللغة الأنجليزية ظهر أول معجم للاستشهادات المترجمة من اللاتينية والفرنسية في آخر القرن الثامن عشر الميلادي[91] و لم تظهر معاجم استشهادات ذات وزن يذكر خلال القرن التاسع عشر، أمّا في النصف الأول من القرن

العشرين فقد ظهرت بضعة معاجم للاستشهادات في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ولعل أهم هذه المعاجم (معجم أكسفورد للاستشهادات) الذي ظهرت طبعته الأولى عام 1948.

وفي اللغة الفرنسية، لم يظهر هذا النوع من المعاجم إلا مؤخرا، ويدّعي كارل بيتي مصنف (معجم الاستشهادات من العالم أجمع) الذي نشر لأول مرة عام 1960 أن معجمه الأول من نوعه في اللغة الفرنسية[92]. وصدر (معجم روبير للاستشهادات من العالم أجمع) عام 1979. وصدرت الطبعة الأولى من (معجم لاروس للاستشهادات الفرنسية) عام 1980.

830 – أسباب عدم وجود معجم عربي للاستشهادات

لما اتجهت نيتي إلى العمل في هذا الميدان وعقدت العزم على تصنيف معجم عربي للاستشهاد والتمثيل والاقتباس، أخذت أتفحص مكتبتنا العربية العامرة للوقوف على المصنفات السابقة في هذا المضمار. وأطلت البحث وواصلت التنقيب غير أنني لم أعثر على ما يشفي الغليل أو يرضي الضمير، فهالني الأمر وأقلقني.

وأخذت أتساءل عن السبب أو الأسباب التي أدت إلى حرمان اللغة العربية– على الرغم من ضخامة تراثها المعجمي– من هذا المعجم بالذات. ورحت أمعن النظر وأقلب الفكر ردحا من الزمن حتى اهتديت إلى أن تطور الصناعة المعجمية العربية هو ذاته الذي استبعد تصنيف مثل هذا المعجم الهام، وأن من ميزات هذه الصناعة العتيدة التخصص والشمول في آن واحد، وهي خصائص فرضت التخلّي عن معاجم الاستشهادات كما تعرفها اللغات الكبرى اليوم. وقد يبدو في هذا القول شيء من التناقض في ظاهره، ولكنه متساوق في عمقه صادق في جوهره.

إن ضخامة تراث العرب الفكري جعلت صناعتهم المعجمية، المتقدمة في منهجيتها المتطورة في أساليبها، تجنح إلى نوع من التخصص في تصنيف معاجم الاستشهادات، إذ لم يكن من المستساغ نظريا أو من الممكن عمليا أن يصنف معجم واحد للاستشهادات يضم بين دفتيه جميع استشهادات العرب من القرآن الكريم والحديث الشريف والحكم والأمثال والشعر والنثر. فالقرآن الكريم مثلا –أيام ازدهار الحضارة العربية الإسلامية– كان العلماء يحفظونه، ويستشهدون بآياته كلها، فأية آية يا ترى يؤثر المعجمي ويختار ليدرجها في مصنفه؟ وهذا الأمر يسري كذلك على الحديث النبوي الشريف، وينطبق إلى حد ما على جيد أشعار العرب ومشهور أمثالهم وحكمهم وأقوالهم المأثورة.

ولهذا كله فإن المعجمي العربي اهتدى إلى سبيل أيسر يتجسد في إنتاج معاجم استشهادات متخصصة مثل كتب الاقتباس من القرآن الكريم، وكتب الأمثال، وكتب الأبيات الشعرية المستخدمة في التمثيل والاستشهاد، وهلم جرا.

غير أن ثقافة المعجمي العربي الكبيرة، وسعة اطلاعه وطول باعه في علوم زمانه لم تسمح له بالاكتفاء بمجرد جمع مواد الاستشهادات وترتيبها في معجم كما يفعل المعجميون المعاصرون، بل كان

المعجمي العربي يعمد إلى وضع الشـــاهد في ســياقه التاريخي، وإطاره الأدبي، ومحيطه العلمي، ويخلع عليه ما تجود به قريحته الأصيلة من إبداع، ويسربله بما يهبه فكره الوقاد من آراء، فيصبح الناتج مصنفا لا ينطبـــق عليه اسم (المعجم) فيسميه كتابا.

ولا عجب في ذلك فرائد المعجميـــة العربيـــة، الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-170هـ/ 718-786م) لم يكن عالما لغويا بارزا فحسب وإنما كـــان كذلـــك رياضيا مرموقا، وموسيقيا مبدعا، وأديبا فذا، وشاعرا مجيدا، استطاع بما تجمع له من مؤهلات متعددة، وما أوتي من مواهب مختلفة أن يخترع أو يكتشـــف أوزان الشعر العربي ويقعّدها ويرسي أسس علم جديد هـــو علم العروض.

وليس الخليل حالة شاذة أو مثـــلا نـــادرا بـــين المعجميين العرب في عصور ازدهار الحضارة العربيـــة الإسلامية، وإنما كان كثير مثلـــه، فالزمخشـــري (ت 538هـ/ 1144م) مصنف (أساس البلاغة) الذي يُعـــد من أرقى المعاجم العربية وأفضلها، هو نفسه مؤلـــف (الكشاف) الذي يوصف بأنه مـــن خـــيرة التفاســـير المعتمدة وأشهرها، وهو نفسه مؤلف (المفصل في علم اللغة العربية) الذي يعتبر في طليعـــة كتـــب النحـــو والقواعد وأنفعها.

وبناء على ذلك كله، فإن المعجمي العربـــي إذا أراد أن يصنف معجما للتمثيل - على سبيل المثال- لم يكتف بجمع الأمثال السائرة وترتيبها ألفبائيـــا، وإنمـــا ينتقي المثل ويضبطه ويفسره ويستخلص الحكمة منه، ويسرد الحادثة التي أدت إليه، ويتطـــرق إلى مشـــاهير الأعلام الذين تمثلوا به، ويذكر الأقوال المأثورة النظيرة له، بحيث تصبح النتيجة كتابا للأمثال وليس معجمـــا للتمثيل.

وهذا المثل الذي ضربت يفسر قـــولي إن مـــن ملامح المعجمية العربية التخصـــص والشـــمول في آن واحد، فكتب الأمثال -مثلا- متخصصـــة في نـــوع واحد من الاستشهادات ولكنها في الوقت نفسه تعالج مادتها بطريقة موسوعية شاملة.

ومن ناحية أخرى فإن المثقف العربي في عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية لم يشعر بالحاجة إلى معجم استشهادات شامل بسبب وجود كتب أدبيـــة رفيعة المستوى متقنة الصنعة تؤدي نفس الوظيفة الـــتي تقوم بها تلك المعاجم وتتوخى عين الأهـــداف الـــتي ترمي إليها، ولا تختلف عنها إلا في طريقة عرض المادة. ومن هذه الكتب: **الأمالي** للقـــالي (288-356هـــ) والكامل للمبرد (ت 285هـــ) **والعقد الفريد** لابن عبد ربه (246-328هـــ) **وأدب الدين والدنيا** للمـــاوردي (ت 450هـــ).

ولو أخذنا الكتاب الأخير على ســـبيل المثـــال وتفحصنا مادته لألفينا أنه قريـــب الشـــبه بمعـــاجم الاستشهادات الشاملة التي ترتـــب مادتهـــا ترتيبـــا موضوعيا. فأبواب الكتاب تتناول العقـــل، الهـــوى، العلم، الدين، الدنيا، المؤاخـــاة، الزراعـــة، التجـــارة، الصناعة، تربية الحيوان، الحيـــاء، الحلـــم، الغضـــب، الكذب، الصدق، الحسد، الكرم، البخـــل، المـــروءة، النزاهة، العفة، علو الهمة، ...الخ. وتحت كل موضوع من هذه الموضوعات يدلي المؤلف برأيه في الموضـــوع

ويدعمه باستشهادات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأمثال والحكم والشعر والنثر والخطب. وهذه الموضوعات هي نفس الموضوعات التي تختارها معاجم الاستشهادات التي قد تشتمل مادتها على نفس الاستشهادات ولكنها معروضة في الكتاب بشكل مختلف ودون تعليق أو تفسير، لأن المعجمي يختلف عن الأديب في كون الأول يسجل الاستعمال اللغوي فقط في حين أن الثاني يبدعه أو يبتكره.

لهذه الأسباب مجتمعة لم تشتمل المكتبة العربية العامرة على معجم شامل للاستشهادات بالمعنى الحرفي للكلمة ولا يعد ذلك عيبا في الصناعة المعجمية العربية التي انتهجت طريقا يميزها عن غيرها بوصفها عميدة الصناعات المعجمية في العالم.

840 – فوائد معجم الاستشهادات وجمهوره

من مبادئ صناعة المعجم، أنه لا بد أن يسعى لإفادة جمهور محدد ويعمل على تلبية احتياجات مستعمليه والاستجابة إلى طلباتهم. ويتألف جمهور معجم الاستشهادات من جميع الذين يمارسون صنعة الكلام أو الكتابة، وهو جمهور واسع جدا في عصر يمكن أن نطلق عليه اسم عصر الاتصال، إذ كثرت وسائل الاتصال الجماهيرية كمحطات الإذاعة والتلفزة والسينما، والمسارح، والصحف والمجلات، وكلها تقوم على المادة اللغوية المنطوقة أو المكتوبة[93].

وإذا اتفقنا على أهمية تطعيم الكلام أو الكتابة باقتباسات واستشهادات، وإذا علمنا أن الأغلبية الساحقة من الناس لاتحفظ أو تتذكر جميع ما تقرأ، أصبح من الضروري لكل خطيب أو كاتب أن يعود لمصدر محدد يزوده بالاستشهادات التي يحتاج إلى تضمينها في كلامه، أو لضبط شاهد كان يحفظه أو استكماله أو معرفة قائلة. وهذا المصدر هو معجم الاستشهادات.

فهذا الأخير مفيد على الخصوص في إعداد خطب أئمة الجوامع، ومحاضرات الأساتذة، ومرافعات المحامين، والخطب السياسية والبرلمانية، ومواد معدي البرامج الإذاعية والتلفزية، ومقالات الصحفيين، وإنشاء الطلاب، ومؤلفات الكتاب الآخرين. ويوفر معجم الاستشهادات قراءة ممتعة ومطالعة شيقة لجميع المثقفين الذين يهمهم الاطلاع على خلاصات العقول وبنات الأفكار.

وقد أشار الثعالبي في مقدمة كتاب (الاقتباس من القرآن الكريم) إلى حجم جمهور المستفيدين من الاقتباسات فقال عن كتابه:

"وجعلته مجتمعا على كل ما استحسنته، واخترته من اللُمع والفِقر والنكت من اقتباس الناس على اختلاف طبقاتهم، وتفاوت درجاتهم، ومن كتاب الله عزّ اسمه في خطبهم ومخاطبتهم، وحكمهم وآدابهم، وأمور معاشهم ومعادهم، وفي مكاتباتهم، ومحاوراتهم، ومواعظهم، وأمثالهم، ونوادرهم، وأشعارهم، وسائر أغراضهم، وضمنته من محاسن انتزاعاتهم، وبدائع اختراعاتهم، وعجائب استنباطاتهم، واحتجاجاتهم منه، ما ليس السوقة بأحوج إليه من الملوك، ولا الكتّاب والشعراء بأرغب فيه من الفقهاء والعلماء، ولا المجّان والظرفاء بأحرص عليه من الزّهاد

والحكماء..."[94].

وعندما يضم المعجم، بالإضافة إلى الاقتباسات، بقية الاستشهادات من الأمثال والنثر والشعر، يكون جمهوره أوسع وتصبح الحاجات التي يستجيب لها أكثر.

850 – مصادر معجم الاستشهادات ومراجعه

لأول وهلة، قد يتبادر إلى الذهن أن مصادر معجم الاستشهادات تتمثل في الكتب التي تستقى منها تلك الاستشهادات كالقرآن الكريم والصحاح وكتب الأمثال ودواوين الشعراء وكتب المختارات الأدبية، وما إلى ذلك. وكم تنتابنا الدهشة إذا ما علمنا أن لمعجم الاستشهاد الجيد مصادر أولية ومصادر ثانوية وأن الكتب التي ذكرنا -على أهميتها- لاتعد من مصادره الأولية ولا من مصادره الثانوية، وإنما قد تستعمل مراجع فقط يرجع إليها مصنف المعجم للتأكد من دقة الاستشهاد والتثبت من صحة نسبته.

851 – المصادر الأولية لمعجم الاستشهادات

ذكرنا أن معجم الاستشهادات هو كتاب تجمع فيه الاستشهادات النثرية والشعرية التي يستعملها الناس في خطبهم ومقالاتهم، وترتب بحسب ترتيب معين معلوم يعين القارئ على العثور عليها بسهولة. ولهذا فإن أراد المعجمي أن يحصر الاستشهادات المستخدمة فعليا في العصر الحاضر، أصبح عليه لزاما العودة إلى الإنتاج الأدبي المعاصر وجرد الاستشهادات الواردة فيه. فالمعجمي هو شاهد على الاستعمال يصفه كما هو وليس مشرّعا يضع معاييره ويقرر قواعده.

وجمع المادة المعجمية الأولية أمر معروف للمعجميين المتمسكين بمبادئ علم اللغة التطبيقي، إذ يقومون أولا باختيار مؤلفات أدبية وخطب ومقالات صحفية ومقابلات إذاعية وغير ذلك من المواد اللغوية الراهنة. وينبغي أن تتوفر في هذا الاختيار مواصفات التنوع الموضوعي والمكاني والزماني كذلك إذا أريد لهذه الاستشهادات أن تكون ممثلة لجميع عصور اللغة، أما إذا كان الهدف حصر الاستشهادات التي يستخدمها الناس في الوقت الحاضر، فيقتصر الاختيار على الأعمال المعاصرة. ولا يعني ذلك أن هذه الاستشهادات المعاصرة وضعها مفكرون معاصرون بل يستخدمها كتاب معاصرون ولو أنها وضعت في العصور الماضية. وبعد أن يختار المعجمي تلك الأعمال الأدبية يقوم بقراءتها وجرد ما يرد فيها من استشهادات، ويخزن تلك الاستشهادات إما في ذاكرة الحاسوب الإلكتروني أو في مجذات يدوية تمهيدا لمعالجتها (أي لدراستها) وتصنيفها وترتيبها طبقا للترتيب الذي يختاره.

852 – المصادر الثانوية لمعجم الاستشهادات

وقد يلجأ مصنف معجم الاستشهادات العام إلى استكمال مصادره الأولية بمصادر ثانوية، وهذه الأخيرة تتمثل في معاجم الاستشهاد الأخرى إن وجدت سواء أكانت تلك المعاجم عامة أم متخصصة. فمن معاجم الاستشهاد المتخصصة، كتب الاقتباس من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، وكتب الأمثال السائرة التي يضمنها الناس في كلامهم في الوقت الحاضر، وكذلك جميع معاجم الاستشهاد الأخرى المتخصصة في موضوع من المواضيع كمعجم خاص

بالاستشهادات عن المرأة أو الحرب أو غير ذلك.

ويميل بعض المعجميين إلى مراجعة الكتب المدرسية المقررة في مواضيع الأدب والمحفوظات، لأن هذه الكتب تشكل معينا للنصوص الأدبية التي يحفظها التلاميذ والطلاب ويستشهدون بها في حياتهم المقبلة.

853 – مراجع معجم الاستشهادات

قد يرجع مصنف معجم الاستشهادات إلى جميع الكتب التي اقتطفت منها الاستشهادات للتأكد من صحتها وضبطها ومعرفة الظروف التي أحاطت بها، وهكذا فإن مراجعه في هذه الحالة هي تلك المؤلفات الأصيلة التي وردت فيها الاستشهادات.

860 – حدود معجم الاستشهادات

تبين مقدمة معجم الاستشهادات نوعه وحدوده، فإن كان متخصصا في موضوعه أعلن مصنفه ذلك، وإن كان متخصصا في نوع استشهاداته، بين عنوانه أو مقدمته تلك الخصيصة كأن يكون معجما للاقتباسات من القرآن الكريم أو معجما للتمثيل من الأمثال والأقوال السائرة فقط، أو معجما للاستشهادات الشعرية دون النثرية، وما إلى ذلك من أنواع. وحتى إن كان المعجم معجما عاما للاستشهادات بموضوعاتها جميعا وأنواعها كافة فإن له حدوده الثقافية والأدبية.

إن معجم الاستشهادات لايغني القارئ عن الرجوع إلى الكتب الأصلية التي استقيت منها تلك الاستشهادات، وإنما ينبغي أن يكون المعجم حافزا له على العودة إليها بل ومطالعة بقية مؤلفات الكاتب الذي أعجب بفكره متجليا على صفحات المعجم.

فالاستشهادات هي لمع قصيرة ونتف محدودة انتزعت من سياقها العام وأزيلت من إطارها الفكري والنفسي الذي يزينها ويزيد قيمتها، ويوضح دلالتها.

ومعجم الاستشهادات مهما كان حجمه ومهما بذل فيه مصنفه من جهد، لا يستطيع أن يضم بين دفتيه جميع الاستشهادات التي يحفظها القراء، فالناس يتفاوتون في قدرتهم على الحفظ والتذكر، كما يتباينون في اهتمامهم وميولهم، فما يعد شاهدا مشهورا لبعضهم لم يسمع به بعضهم الآخر أو لم يلق منه أي تقدير. ونظرا إلى أنّ اللغة العربية تمتاز على جميع اللغات في ضخامة مخزونها الفكري وغنى تراثها الأدبي اللذين يمتدان على مدى حقب طويلة وقرون عديدة، فإن معجم استشهادات عربي لا بد أن يعتوره بعض الثغرات حتى لو انكب على تصنيفه فريق من المتخصصين وكان بعضهم لبعض ظهيرا.

900 – ترتيب مواد معجم الاستشهادات

إن معجم الاستشهادات نوع من أنواع المعاجم يختلف عنها في طبيعة مادته ويتفق معها في خصائص ترتيب مواد المعجم. وفي دراسة أجريت لحصر ضروب الترتيب المختلفة التي استثمرت في صناعة المعجم العربي وجد أنها تفوق الخمسة عشر ضربا[95]. ومن الناحية النظرية يمكن ترتيب مواد معجم الاستشهادات طبقا لهذه الطرق المختلفة، ولكن معاجم الاستشهادات الموجودة فعلا تتبع إحدى طرق الترتيب التالية:

910 – الترتيب الألفبائي

الترتيب الألفبائي أبسط ضروب الترتيب التي يمكن اتباعها في معجم الاستشهادات، إذ ترتب

الشواهد الواحد تلو الآخر طبقا للحرف الأول الذي يبدأ به الشاهد فالحرف الذي يليه وهكذا دواليك. ولعل معجم الاستشهادات الموسوم بـ (الدر الفريد وبيت القصيد) هو من أقدم المعاجم العربية التي اتبعت هذا الترتيب الألفبائي، إذ أدرج مصنفه جميع الأبيات الشعرية المشهورة التي يربو عددها على ألفي بيت طبقا للحرف الأول الذي يبدأ به البيت ووضع أمام كل بيت اسم قائله إن عرف.

وقد اتبعت كتب الأمثال -التي كان يمكن عدّها نوعا متخصصا من معاجم الاستشهادات- الترتيب الألفبائي، إذ نظمت فيها الأمثال بحسب الحرف الذي تبدأ فيه وبعد كل مثل يشرح المؤلف معناه ويسرد قصته.

وإذا كان هذا الترتيب لا يتطلب جهدا جهيدا من مؤلفه فإن فائدته للقارئ ذات نطاق محدود، فلكي يعثر القارئ على الشاهد المطلوب ينبغي أن يكون قد حفظه أولا أو عرف بدايته على الأقل. ويمكن أن تتسع فائدة المعجم إذا أضيف إليه فهرس بأسماء قائلي الشواهد، وفهرس آخر بموضوعاتها.

920 – الترتيب بحسب المؤلفين

وترتب بعض معاجم الاستشهادات موادها بحسب المؤلفين؛ أي أن الاستشهادات المأخوذة من كل مؤلف توضع تحت اسمه، فإذا أراد القارئ أن يبحث عن كلمة مشهورة أو بيت شعر معروف أو مثل سائر، عليه أن يعرف أولا اسم المؤلف أو الشاعر الذي ينسب إليه ذلك القول ليتمكن من العثور عليه. ولكن، كيف ترتب أسماء المؤلفين في المعجم؟ هناك طريقتان:

الأولى – ترتيب أسماء المؤلفين ألفبائيا، وهذه الطريقة هي التي اتبعها معجم أكسفورد للاستشهادات[96] ومعجم لاروس للاستشهادات الفرنسية[97].

الثانية – ترتيب أسماء المؤلفين زمانيا، أي الأقدم فالأحدث، وهذه الطريقة هي التي اتبعها (معجم روبير للاستشهادات) الفرنسي[98].

وبعد أن يتخذ المعجمي قراره الخاص بترتيب أسماء المؤلفين، يواجه السؤال التالي: كيف ترتب الاستشهادات تحت كل مؤلف؟ والإجابة عن هذا السؤال قد تكون على وجهين:

أ – ترتيب الاستشهادات ألفبائيا أي طبقا للحرف الأول للاستشهادات.

ب – ترتيب الاستشهادات بحسب عناوين المؤلفات التي استقيت منها. وفي هذه الحالة يمكن أن ترتب عناوين المؤلفات تحت اسم المؤلف ألفبائيا أو زمانيا.

930 – الترتيب الموضوعي

يسعى المصنف في هذه الحال إلى ترتيب شواهده طبقا للموضوعات التي تناولها. ويفترض هنا أن يكون قائمة أولية لموضوعات الشواهد مرتبة ترتيبا ألفبائيا مثل: الإخلاص، البر، التوبة، الثواب، الجمال، الحب، الديمقراطية، الذكاء، إلخ، ثم توضع الشواهد التي تتعلق بموضوع واحد تحت ذلك الموضوع. وهنا يثار السؤال ذاته ثانية: وكيف ترتب الشواهد تحت الموضوع الواحد؟

وهنا تبرز اختيارات عديدة أمام مصنف المعجم

أهمها ما يلي:

أ - ترتب الشواهد المنضوية تحت موضوع واحد ألفبائيا بحسب الحرف الأول من الكلمة الأولى في الشاهد.

ب - ترتب الشواهد تحت عناوين موضوعية فرعية. فشواهد الإخلاص مثلا ترتب في مجموعات تتناول تعريف الإخلاص، وفوائده، ونتائجه، إلخ.

ج - ترتب الشواهد زمانيا، أي الأقدم فالأحدث

د - ترتب الشواهد ألفبائيا طبقا لأسماء قائليها

ويفضل كثير من القراء المعاجم ذات الترتيب الموضوعي للشواهد لأنه ييسر اطلاعهم على الأقوال المأثورة في الموضوع الذي يهمهم، دون اضطرارهم إلى البحث عن بغيتهم مشتتة الأطراف موزعة الأوصال هنا وهناك في المعجم ومبعثرة تحت مختلف المؤلفين. ولكن الترتيب الموضوعي يضع عددا من الصعوبات أمام مصنف المعجم في طليعتها صعوبات ثلاث هي:

الأولى، تعلّق بعض الشواهد بأكثر من موضوع واحد؛ وهنا يحار المؤلف تحت أي موضوع يدرج الشاهد، لأنه إذا كرر إدراجه تحت كل موضوع تضخم المعجم وارتفع ثمنه بلا مبرر. فمثلا الحديث النبوي الشريف "صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مضار السوء" يتعلق بموضوعات ثلاثة هي: الصدقة، وصلة الرحم، والمعروف. وفي هذه الحالة لابد أن يتوفر المعجم على فهارس تدرج فيها جميع الموضوعات وتحيل هذه الفهارس انطلاقا من كل موضوع على جميع الشواهد المتعلقة بذلك الموضوع سواء أكانت تحت ذلك الموضوع في صلب المعجم أم تحت غيره من الموضوعات. ويضطر المعجمي أن يضع الحديث النبوي المذكور تحت أحد هذه الموضوعات ولعله أولها.

الثانية، لا يشتمل بعض الشواهد على لفظ الموضوع الذي يندرج تحته. فمثلا الآية الكريمة (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا)[99]. لا يمكن أن تدرج تحت أي لفظ من ألفاظها في معجم الاستشهادات فليس المقصود هنا اليد أو العنق، وإنما (البخل) و(التبذير) أو (الاعتدال). وكثير من الأمثال تقع في دائرة هذه الصعوبة. فالمثل:

ماحك جلدك مثل ظفرك

فتولّ أنت جميع أمرك

لايمكن إدراجه تحت (الجلد) أو (الظفر) أو (الأمر)، وإنما موضوعه (الاعتماد على النفس).

الثالثة، أن بعض الألفاظ لها أكثر من مدلول، أي إن اللفظ الواحد يدل على مفهومين مختلفين، وتسمى هذه الظاهرة في علم اللغة بالاشتراك اللفظي. فمثلا كلمة (الجهل) ومشتقاتها (كالجاهل) لها معنيان:

الأول : ضد الحِلم، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم (خُذْ العفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين)[100]، وهذا المعنى هو المقصود في قول الشاعر عمرو بن كلثوم:

ألا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والثاني: ضد العلم، وقد ورد هـذا المعنى في القرآن الكريم في الآية (يحسبهم الجاهلُ أغنياء من التعفف)(101)، وقصد المتنبي هذا المعنى حين قال:

كدعواك كلٌ يدعي صحة العقل

ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل

وفي هذه الحال ينبغي على مصنف معجم الاستشهادات أن يميز بين شواهد المعنى الأول وشواهد المعنى الثاني ويدرجهما منفصلين تحت موضوعين مختلفين: الأول (ضد الحِلم) والثاني، (ضد العِلم).

940 – فهارس معجم الاستشهادات

تكتسي الفهارس في معجم الاستشهادات أهمية خاصة سواء أكان الترتيب الذي يتبعه المعجم بحسب المؤلفين أم بحسب الموضوعات. فإن كان المعجم مرتباً بحسب المؤلفين فلا مندوحة إذن من إضافة فهرس للموضوعات في أخر المعجم يعين القارئ الذي يطلب شواهد تدور حول موضوع معين من الموضوعات على العثور على مطلبه. وإذا كان المعجم مرتبا بحسب الموضوعات، أضحى من الضروري إضافة فهرس موضوعي يحيل على الشواهد التي تتناول موضوعا معينا ولكنها أدرجت تحت موضوع آخر لأنها تناولته كذلك، كما بينا في الفقرة السابقة. ويحتاج هذا المعجم كذلك إلى فهرس يضم أسماء المؤلفين ويحيل على أماكن شواهدهم في صلب المعجم لكي يتمكن القارئ الذي يعرف اسم المؤلف ولا يتذكر نص الشاهد من العثور عليه. ويمكن تصور فهرس ثالث في أي معجم من معاجم الاستشهادات هو فهرس الأعمال الأدبية التي استقيت منها الشواهد.

الهوامش:

1) ابن منظور،**لسان العرب**(بيروت:دار صادر)مادة، (مثل)

2) ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، تحقيق محمد قرقزان (دمشق: الكاتب العربي، 1994)

3) السكاكي، **مفتاح العلوم** (بيروت: دار الكتب العلمية. 1983) ص504.

4) سورة البقرة الآية:65.

5) ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة** (بيروت: دار الجيل، 1987) ج6 ص115.

6) الغزالي، **إحياء علوم الدين** (بيروت: دار الكتب العلمية) جـ4، ص509.

7) ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، ج 1 ص 282.

8) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قبس).

9) أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ) ص414-416.

10) أبو منصور الثعالبي، **الاقتباس من القرآن الكريم**، تحقيق الدكتورة ابتسام مرهون الصفار (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1975)، ص 22.

11) القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق محمد حسني شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988) ص 183-356.

12) علي القاسمي -المنسق- وآخرون، **المعجم العربي الأساسي** (تونس: الألكسو، 1989) ص963.

13) ابن منظور، **لسان العرب**، (شهد).

14) المصدر السابق: (شهد).

15) المصدر السابق جـ 3، ص 243.

16) تمام حسان، **اللغة بين الوصفية والمعيارية** (القاهرة، 1958).

17) ابن هشام، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى) جـ3، ص-ص270-271.

18) أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ص 370.

19) محمد حواد مغنية، **علم أصول الفقه** (بيروت : دار العلم للملايين، 1975) ط2، ص ص13-15.

20) حسن الكرمي، **قول على قول** (بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، ط7، 1986).

21) **Alain Rey, « Avant-propos » dans Dictionnaire de citations du monde entier (paris: le Robert, 1979).**

22) عبد الحميد الشلقاني، **رواية اللغة** (القاهرة: دار المعارف، 1971) ص38.

23) المصدر السابق.

24) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، 118/6.

25) عبد الحميد الشلقاني، المصدر السابق.

26) **ديوان المتنبي**.

27) محمد مهدي الجواهري، **ديوان الجواهري**.

28) أبو هلال العسكري، **جمهرة الأمثال** 5/1.

29) **Karl Petit, le Dictionnaire des citations du monde entier(Alleur: Marabout,1978) PP. 5-9.**

30) المصدر السابق.

31) **D.E. MacDonnel, Dictionnary for Quotations Chiefly from Latin and French Translated into English.**

32) **The Oxford Dictionnary of Quotations, (London: Oxford Univ. Press, 1981) P.vii.**

33) أبو هلال العسكري، **جمهرة الأمثال**، 4/1.

34) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، تحقيق د.مفيد محمد قميحة (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983)، جـ3 ص3.

35) الميداني، **مجمع الأمثال** (القاهرة، مطبعة السنة المحمدية) ص1.

36) **Karl Petit, op.cit.**

37) **Alain Rey, op.cit.**

38) ابن المقفع، **الأدب الصغير** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1989) ص284.

39) عبد الرحيم بن علي بن مشيت القرشي، **معالم الكتابة ومغانم الإصابة** (بيروت : دار الكتب العلمية، 1988) ص 138.

40) القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، أنظر الفصل الثاني، جـ1 ص183-356.

41) **The Oxford Dictionnary of Quotations (London, Oxford Univ. Press, 2nd ed, 1953), P.V.**

42) المصدر السابق.

43) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء**، تحقيق مفيد قميحة (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1985) ص 19.

44) ابن رشيق، **العمدة**، ص 20.

45) **ديوان أبي تمام**، شرح شاهين عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987) ص39.

46) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء**، ص ص 21-25.

47) نفس المصدر.

48) محمد بن أيدمر، **الدر الفريد وبيت القصيد** (فرانكفورت: معهد تاريخ العلوم العربية، 1987)، ص ص 11-12. نشره مخطوطا دون تحقيق فؤاد سيزكين.

49) أبو محمد القاسم السجلماسي، **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**- تحقيق د. علال الغازي (الرباط: مكتبة المعارف، 1980)، 210-217.

50) ابن رشيق، **العمدة**. ص84.

51) حسن الكرمي، **قول على قول**،جـ 11 ص 69.

52) ابن رشيق، المصدر السابق.

53) شمس الدين محمد النواجي الشافعي، **الشفاء في بديع الاكتفاء** تحقيق د.محمد حسن أبو ناجي (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1403 هـ) ص26.

54) المصدر السابق، ص 31.

55) الهاشمي، المصدر السابق، ص 418.

56) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1986) جـ 4 ص ص 18-19.

57) ابن رشيق، **العمدة**، ص 280.

58) زكي مبارك، **النثر الفني في القرن الرابع** (صيدا: المكتبة العصرية) جـ1 ص 204.

59) العباسي، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** (بيروت: عالم الكتب، 1947) ص2.

60) حسن الكرمي المصدر السابق.

61) عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب** (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1989) جـ1 ص ص5-6، تحقيق عبد السلام محمد هارون.

62) الكرمي، **قول على قول**، جـ 11 ص ص 154-156.

63) أبو بكر الأنباري، **الزاهر** (بغداد: دار الرشيد للنشر، 1979) تحقيق د.حاتم صالح الضامن جـ2 ص8.

64) ابن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود شاكر (القاهرة: دار المعارف، 1952) ص 40-41.

65) المبرد

66) ابن عبد ربه، **العقد الفريد** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1983) جـ 6 ص 157.

67) طه حسين، **في الشعر الجاهلي** (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1926).

68) طه حسين، **في الأدب الجاهلي** (القاهرة: دار المعارف).

69) ناصر الدين الأسد، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية** (بيروت: دار الجيل ط 1988).

70) انظر البحث الذي أجراه حسن الكرمي حول هذا البيت في كتابه **قول على قول** جـ8 ص ص129-131.

71) أبو العلاء المعري، رسالة الغفران (بيروت: دار الكتب العلميـــة، 1990) ص.119 ومما يؤيد المعري فيما ذهب إليـــه أن المرزبـــاني ينسبهما كذلك إلى عمرو بن عدي اللخمي، في كتابـــه معجـــم الشعراء (بيروت: دار الجيل، 1991) ص5.

72) ابن رشيق، العمدة، جـــ2 ص 280-294.

73) من الذين كتبوا في موضوع السرقات الشعرية، قديما أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي في كتابه حلية المحـــاضرة في صناعـــة الشعر، تحقيق الدكتور جعفر الكتاني (بغداد: دار الرشيد للنشـــر، 1979) جـــ2 ص ص 28-98 وهو الكتاب الذي اعتمد عليه ابن رشيق في فصله الخاص بالسرقات الشعرية في كتابه العمدة. وحديثا الدكتور بدوي طبانة، في كتابه السرقات الأدبية (بـــيروت: دار الثقافة، 1956).

74) ابن رشيق، العمدة، ج2، ص 283-284.

75) المصدر السابق.

76) محمد سعيد أسبر وبلال جنيدي، الشامل (بيروت: دار العـــودة: 1981) ص530.

77) الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، ج2، ص45.

78) ابن رشيق، العمدة، ج2 ص289.

79) المتنبي، ديوان المتنبي.

80) خيرية محمد محفوظ، ديوان كشـــاجم (بغـــداد: وزارة الإعـــلام، 1970) ص ص4-5).

81) انظر علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم (الرياض: جامعـــة الرياض، 1975) ص2، وكذلك تعريف كلمة (معجم) في معاجم عربية وإنجليزية وفرنسية معاصرة مثل المعجم العربـــي الأساســـي وروبسترولاروس.

82) من الأمثلة على هذا النوع من الفهارس:

محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القـــرآن الكريـــم (القاهرة: دار الشعب، 1945).

محمد فارس بركات، الجامع لمواضيع آيـــات القـــرآن الكريـــم (بيروت: دار قتيبة، 1959).

83) من الأمثلة على ذلك كتاب محمد بن أيدمر، الدر الفريد وبيـــت القصيد، السالف الذكر.

84) أنظر مثلا محمد بن سهل المرزبـــان، كتاب الشوق والفـــــراق، تحقيق د.جليل العطية (بيروت : دار الغـــرب الإســـلامي، 1988)

والمعجم الفرنسي.

Luc Uyttenhove, 1000 citations pour réussir (Alleur (Belgique): Marabout, 1988)

Anne Amiel, 50 grandes citations philosophiques expliquées (Alleurs: Marabout, 1990.

Michael C. Thomsett, A Treasury of Business Quotations (NewYork: Ballantine Books,1991)

John Bartlett, Familiar Quotations (Boston: Little Brown Co. 1980) 15 ed.; First ed. 1855.

85) انظر مثلا معجم روبير للاستشهادات من العالم أجمع

Dictionnaire des Citations du monde entier (Paris: Le Robert, 1979).

86) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمـــه د.محمـــود فهمـــي حجازي وآخرون (الرياض: جامعة الإمـــام محمـــد بـــن ســـعود الإسلامية) 19 ج2 -ص ص89-90.

87) محمد إقبال الشرقاوي، معجم المعـــاجم (بـــيروت: دار الغـــرب الإسلامي، 1987).

88) محمد بن أيدمر، الدر الفريد وبيت القصيد، المقدمة.

89) فؤاد سيزكين في تقديمه لكتاب الدر الفريد وبيت القصيد.

90) محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي، كتـــاب الشـــوق والفراق، تحقيق د.جليل العطية (بيروت: دار الغرب الإســـلامي، 1988).

91) D.E. Mac Donnel, Dictionnary of Quotations Chiefly from Latin and French Translated into English, 1799.

92) Karl Petit, op. cit.

93) Ali Al-Kasimi, Linguistics and Bilingual Dictionaries (Leiden: E.J. Brill, 1977) P.103.

94) أبو منصور الثعالبي، الاقتباس من القرآن الكريم، ص22.

95) علي القاسمي "ترتيب مداخيل المعجم العربي" اللسان العربي، المجلد 19 (1982)، 14-30.

96) The Oxford Dictionary of Quotations.

97) (Larousse), Dictionnaire des Citations françaises (Paris, Larousse, 1989).

98) Le Robert; Dictionnaire des citations du monde entier.

99) سورة الإسراء، الآية 29.

100) سورة الأعراف، الآية 199.

101) سورة البقرة، الآية 273.

من إصدارات المكتب